حادثة الإفك

دروس وعبر

د. أمين بن محمد المدري

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

لِكُلّ مُسلم

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

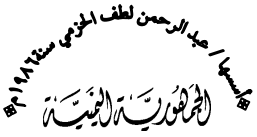

المركز الرئيسي صنعاء – شارع العدل

تلفاكس : (٢٢٤٦٩٤)

صنعاء الدائري الغربي – جولة القادسية

تلفون: (٢١٥٢٤٣)

فرع عدن كريتر – الميدان – تحت فندق العامر فرزة الشيخ عثمان ت : (٠٢/٢٦٥٧٠٦)

مركز خالد بن الوليد – الدائري الغربي–تقاطع شارع الرباط ت : (٢١٥٦٩٩)

آية قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور: ١١]

إهداء

إلى أولئك الذين زرعوا في أعماقي حب العلم والقلم وغرسوا في نفسي- صفاء العقيدة وسمو النفس.

إلى والديّ الكريمين الذين سهرا على راحتي وتعبا في تربيتي.

إلى زوجتي التي ضحّت بالكثير من جهدها ووقتها في الوقوف إلى جانبي في سبيل راحتي وتحصيلي العلمي.

إلى فلذات كبدي الذين أضاءت ضحكاتهم لي الطريق.. إلى أبنائي الأعزاء ماريا، سلسبيل، بهاء الدين، أوّاب.

إلى كل من ساهم معي وقدّم لي عوناً بجهده وعلمه ونُصحه من أساتذة ومعلمين وطلبة علم.

أُهدي إليهم جميعا هذا الجهد المتواضع...

أمير بن محمد المدري

قائمة المحتويات

آية قرآنية ١
إهداء ٢
قائمة المحتويات..... ٣
المقدمة ١
أهمية الدراسة:..... ٢
أسباب اختيار الموضوع:..... ٣
أهداف الدراسة:..... ٤
منهج الدراسة:..... ٤
الدراسات السابقة:..... ٥
تقسيم الدراسة: ٨
الفصل الأول..... ١١
المبحث الأول ١٢
تعريف الافك لغةً واصطلاحاً ١٢
المطلب الأول: تعريف الإفك لغة ١٢
المطلب الثاني: تعريف الإِفك اصطلاحا: ١٦
المبحث الثاني ١٨
التعريف بأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها ١٨
المطلب الأول ١٨
اسمها ونسبها ومولدها ووفاتها ١٨
وزواج النبي ﷺ بها وألقابها ١٨
المطلب الثاني ٢٠
فضل أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ٢٠
المطلب الثالث ٢٣

ما تميزت به، وعظيم أُنس النبي ﷺ بقربها ٢٣
المطلب الرابع ٢٥
بعض صفاتها الخُلُقيّة ٢٥
المطلب الخامس ٢٦
حكم سب أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ٢٦
الفصل الثاني **٢٧**
حادثة الإفك الوقائع والأحداث **٢٧**
المبحث الأول **٢٨**
الإفك كما ورد في نصوص القرآن والسنة: **٢٨**
المبحث الثاني **٤٦**
أسباب خوض المنافقين في الإفك **٤٦**
المبحث الثالث **٦٤**
أهداف المنافقين في قصة الإفك **٦٤**
الفصل الثالث **٨١**
دروس وعبر من حادثة الإفك **٨١**
المبحث الأول **٨٢**
دروس وعبر من حادثة الإفك خاصة بالأفراد **٨٢**
أولاً: حُرمة المسلم ٨٢
ثانيًا الصبر ٨٤
ثالثا: الرضا بالقضاء ٨٦
رابعًا: الاستقامة ٨٨
خامسًا: الرقابة الذاتية ٩٠

سادسًا: المسارعة إلى الخيرات ونكران الذات والتجرد من هوى النفس ٩١
سابعًا: حسن الخُلُق ٩٢
المبحث الثاني **٩٥**
دروس وعبر من حادثة الإفك خاصة بالأسرة **٩٥**
أولا: حُسن العشرة ٩٥
ثانيًا: التثبت عند سماع خبر السوء ٩٦
ثالثا: تحكيم شرع الله ٩٨
رابعًا: تقديم رابطة الدين ٩٩
المبحث الثالث **١٠١**
دروس وعبر من حادثة الافك خاصة بالمجتمع **١٠١**
أولا: التوعية بالأخطار المحيطة حماية من الفتنة ١٠١
ثانيًا: الشورى ١٠٣
ثالثا: محاربة الشائعات ١٠٥
رابعًا: التكافل الاجتماعي ١٠٨
خامسا: العدل ١٠٩
سادسًا: التثبت من الأخبار ١١٠
سابعًا: إقامة حدود الله ١١٢
ثامنًا: الحذر من الأعداء والمغرضين ١١٥
المبحث الرابع **١١٨**
دروس وعبر للدعاة من حادثة الافك **١١٨**
أولاً: الحكمة ١١٨
ثانيًا: الموعظة الحسنة ١٢٢

ثالثًا: ضرب المثل ١٢٥
رابعًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٢٨
خامسًا: الترغيب والترهيب ١٣٠
سادسًا: الخطابة ١٣٣
الخاتمة **١٣٥**
النتائج **١٣٧**
المقترحات والتوصيات **١٤٠**
قائمة المراجع **١٤٢**

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد:

فإن السيرة النبوية مليئة بالأحداث والمواقف المتضمنّة الكثير من العبر والدروس التربوية والاجتماعية التي تتصف بالمرونة والقابلية للتطبيق مهما طال عُمر الأمة الإسلامية.

ومن هذه الأحداث، حادثة الإفك، وهي حادثة معروفة ومشهورة في التاريخ الإسلامي، اُتهمت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها، زوج رسول الله ﷺ ، وأم المؤمنين، الصديقة بنت الصديق، الذي كان زواجه منها مرتّبًا من الله تعالى، وتوثيقًا للصلة بينه وبين أحب الناس إليه ﷺ ، وقد استغل المنافقون هذه الحادثة من أجل أن ينالوا من شخص رسول الله ﷺ ، ويطعنوا في الدين والرسالة، عن طريق اتهام السيدة عائشة رضي الله عنها في عرضها، ولكن الله تعالى رد كيد الكائدين في نحورهم، وأظهر الحق ،وأبطل الباطل، وأنزل البراءة من السماء قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة.

وأصبحت هذه الحادثة مما يزيد هذا الدين رسوخًا وثباتًا بعد أن أراد المنافقون والذين في قلوبهم مرض أن يجعلوها ثغرة، ونقطة ضعف في بنيان المجتمع الإسلامي. حيث ظهر بها الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب المنافقين على أمهات المؤمنين.

حادثة الإفك هي حلقة فريدة من سلسلة فنون الإِيذاء والمحن التي لقيها رسول الله – ﷺ – ذلك من أجل تحطيم شخص رسول الله – ﷺ – وصرْفه عن الدعوة بأي وسيلة، حتى ينشغل عن الدعوة إِلى الله بأهل بيته[1].

(١) البوطي، محمَّد، (١٩٨٨م) فقه السيرة، ط١، مصر، دار السلام، ص٢٨٥.

وقد اشتملت هذه الحادثة على مبادئ وقيم تربوية ودروس وعبر ساهمت في ترسيخ قواعد المجتمع الإسلامي الدينية والأخلاقية والتربوية، وبها امتحن الله تعالى قلوب المؤمنين وكشَف عن زيف المنافقين، لذلك كله اختار الباحث هذا الموضوع.

أهمية الدراسة:

أ- الأهمية العملية (التطبيقية):

هذه الدراسة بعون الله -تعالى- يمكن أن يستفيد منها:

١- **المحيط الإعلامي**.. وذلك في التنبيه على خطورة الشائعات وتداولها بين الأفراد، ودفعهم للعمل من أجل إيجاد الوسائل المعالجة لها.

٢- **القائمون على التربية**.. ففي هذه الحادثة منهج تربوي يفيد القائمين على التربية في الوصول من خلاله إلى العلاج الفعال لمشكلات الفرد والأسرة والمجتمع التربوية، وصياغة الشخصية الإسلامية من خلال هذه الحادثة.

٣- **الدعاة**.. وذلك في كيفية مواجهة الزوابع التي تُثار حولهم، وأن يعلموا أنهم حين يُستهدفون، فالمقصود هو دعوته، وعلمهم، وأثرهم في الناس، وليس شخصهم، فيقتدوا بسلوك رسول الله ﷺ في مواجهة الأزمات.

٤- **المجتمع الإسلامي**.. يستفيد من هذه الدراسة من خلال معرفة الدروس والعبر والعظات من هذه الحادثة وتربية الناشئة على أساس من التكافل والتعاون الاجتماعي بين أفراد الأمة الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- **الأسرة المسلمة**.. تستطيع أن تحمي عرضها وسمعتها، وتُقيم بنيانها على أُسس إيمانية سليمة، وقواعد أخلاقية قويمة، من خلال القيم والمبادئ والدروس المستنبطة من هذه الحادثة.

ب- الأهمية العلمية:

١- هذا الموضوع (حادثة الإفك) متعلق بجوانب مهمة من حياة الرسول ﷺ ألا وهي تكريم الله ـ له، وتكريم زوجته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.

٢- تنبع أهمية هذا البحث أيضاً في أنه يتناول قصة وحادثة عظيمة تحدّث القرآن عنها ، ولا شك في أن دراسة القرآن الكريم وتدبر آياته وأخباره والتفكر في معانيها من أسمى مجالات البحث العلمي.

٣- هذه الحادثة وهذا الموضوع يؤسس لآداب اجتماعية تكفل للمجتمع المسلم أسس صلاحه، ورقيّه واستمراره، وتحفظه من الضعف والتمزق والانهيار.

أسباب اختيار الموضوع:

١- إن من الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع هو انتشار رذيلة الكذب وتناقل الأخبار الزائفة والشائعات دون تثبت ودون أن يكون لها دليل أو برهان.

٢- إنه وفي عصر انتشار العلم الشرعي وكذلك التقني والتطورات العلمية ما يزال هناك من يعرض عن آيات حادثة الإفك بل ويصرفها عن حقيقتها وما أنزلت من شأنه لتستمر مسيرة المنافقين في الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وستأتي بعض نصوصهم- ومن ثم الطعن المقصود أو غيره في سيد المرسلين وحجة الله على الناس أجمعين، لذلك تم اختيار هذا الموضوع للحاجة الماسة للرد عليه هؤلاء الطاعنين كالرافضة والمستشرقين.

٣- بيان كيف عالج الرسول ﷺ أحداث قصة الإفك، وإبراز ما فيها من إصلاح اجتماعي، وتربية إسلامية، وحكمة تصرف، وسياسة حكيمة منعت فتنة عظيمة كادت أن تقع وخلافا كبيرا كادت أن تتعثر فيه الأمة الإسلامية.

٤- حاجة المسلمين اليوم لمثل هذه الموضوعات وهذه الحوادث التي وضعت آدابا ومبادئ تربوية

تضمن للفرد والمجتمع سعادة الدارين، كالصبر على الابتلاء، والثقة بالله تعالى، والتوكل عليه، وإحسان الظن بالآخرين، وعدم الخوض في أعراض الغير.

٥- الحاجة الماسّة لتفادى الوقوع في مصير دعاة الإفك في الدنيا والآخرة، وذلك لأن بعض المسلمين اليوم يخوض ويغوص في أعراض المسلمين ويعتبرون هذا أمرًا هينًا، ولكنه عند الله عظيم ولأخذ العبرة من موقف الخائضين وموقف المدافعين.

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى ما يلي:

١- دراسة الدروس المتنوعة والمستنبطة من حادثة الإفك بالدراسة والتحليل لتوضيح كافة الملابسات حولها والعبر المستوحاة منها.

٢- إثراء المكتبة الإسلامية والقرآنية بمثل هذا النوع من الدراسات.

٣- جمع وترتيب ما تفرّق من كلام العلماء والمفسرين والمؤرخين حول هذه الحادثة.

٤- إلقاء الضوء على الفوائد والعبر الشرعية والإيمانية في هذه الحادثة.

٥- الذب عن عرض النبي ﷺ سواءً كان في نفسه، أو أهله.

٦- استكشاف المعاني العظيمة التي تتضمنها هذه الآيات.

٧- إبراز دور المنافقين في بث الشائعة وترويجها، إلى جانب ما يقوموا به من حيل ومناورات بمكر وخداع، يكيدون للإسلام كيدا، فهم أخطر من الكفار شأنا.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في دراسته لموضوع البحث المنهج الوصفي التحليلي ويُقصد به: "دراسة وتحليل ما حصل عليه من معلومات تحليلاً كميا أو تحليلاً كيفيا"[١].

(١) العسّاف، صالح حمد، (٢٠١٢ م)، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، (د. ط) الرياض: دار الزهراء، ص: ٢٠٦.

وبناءً على ذلك فسيقوم الباحث بالإجراءات التالية:

١. عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢. الرجوع للمصادر والمراجع والدراسات السابقة في هذا الموضوع.

٣. التوثيق و الإحالة على المراجع و المصادر في الهوامش.

٤. عزو الأحاديث النبوية إلى مظانها، عدا حديث الإفك، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفى الباحث به وإلا عزاه إلى مظانه من الكتب التسعة.

٥. عزو الآثار إلى مظانها.

٦. استخلاص الدروس والعبر الخاصة بالفرد والأسرة والمجتمع والدعاء من هذه الحادثة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي عن دراسات سابقة لهذا الموضوع، وجد الباحث دراسات وأبحاث لها علاقة بموضوع الدراسة بشكل أو بآخر ومنها:

الدراسة الأولى: دراسة (المحجوب) بعنوان **"إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة**[(١)]:

وهدفت الدراسة إلى: تناول سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والذب عنها، وأفرد الباحث فصلاً حول أباطيل وشبهات حولها، والرد عليها.

وتشابهت مع الدراسة الحالية في الترجمة لسيرة السيدة عائشة رضي الله عنها والحديث عن حادثة الإفك، لكن الدراسة الحالية تميّزت بالحديث عن الدروس والعبر.

الدراسة الثانية:

دراسة (اعمير، ٢٠٠٤م) بعنوان: "التربية القرآنية في سورة النور "[(١)].

(١) محجوب، ياسين الخليفة الطيب، (٢٠٠٩م)، إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة، البحث الفائز في مسابقة مؤسسة الدرر السنية.

ومن أهدافها:

- ❖ التعريف بسورة النور وإبراز أهمّ خصائص السورة.
- ❖ التعرّف على أهمّ موضوعات وتشريعات السورة.
- ❖ التعرّف على بعض جوانب وعناصر المنهج التربوي القرآني.
- ❖ الكشف عن بعض الطرق والأساليب والوسائل التربوية القرآنيّة.

وهذه الدراسة نظريّة تحليليّة استقرائية، حيث قام الباحث باستقراء المعاني والمفردات المختلفة المستنبطة من آيات السورة ونصوصها المختلفة، ثمّ استخلص وقام بتجميع المبادئ والأفكار والمعالم التربويّة الكليّة منها.

الدراسة الثالثة: دراسة (قاضي، ١٩٩٨م) والتي بعنوان: **"القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك "**(٢).

وهدفت الدراسة إلى:

١. الاستنارة بما في سيرة السيدة عائشة رضي الله عنها من مواقف وسلوكيات عظيمة يمكن أن تتخذ قدوة.

٢. عرض تاريخي موجز لحادثة الإفك.

ركّزت هذه الدراسة على الجانب التربوي، بينما تميّزت الدراسة الحالية بعرض الدروس والعبر عموما.

الدراسة الرابعة: دراسة (العبد اللطيف، ١٩٩٠م) والتي بعنوان: **" حديث الإفك كما جاء في**

(١) اعمير، أنور احمد داوود (٢٠٠٤م) "التربية القرآنية في سورة النور "، رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين.

(٢) قاضي، سلافة بنت بكر عبد الله، (١٩٩٨م) " القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك " رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية بمكة المكرمة.

سورة النور وأثر المنافقين فيه "[1].

وأفرد الباحث الباب الثاني من دراسته للحديث عن الإفك ومفهومه، ورواياته، وآثاره، وموقف الرسول ﷺ والصحابة منه، وعلاقة المنافقين بالحادثة، كما تعرّض الباب للحديث عن الإشاعات، وبين ما هو توجيه القران للمسلمين إزاء مثل هذا الحادث. أما الباب الثالث فهو يتحدث عن القذف وصلته بالإفك ومعناه وعقوبته، وآراء الفقهاء فيه.

وغلب على هذه الدراسة الناحية التفسيرية، والفرق بين هذه الدراسة والدراسة الحالية أن هذه الدراسة ركّزت الحديث على النفاق والمنافقين وأثرهم في الحادثة، فمعظم أبواب الدراسة تتحدّث عن ذلك ما عدا الباب الثاني والذي يتشابه مع هذه الدراسة في حديثه عن مفهوم الإفك ودوافعه.

وأخيراً.. يمكن القول أن مجمل الفرق بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية، وموضوع الاختلاف، أن هذه الدراسة ركّزت على جانب الدروس والعبر للحادثة، وسعت من أجل استنباط القيم والمبادئ والدروس منها والتي تتعلق بالأفراد والأسر والمجتمعات الإسلامية.

أما الدراسات السابقة فهي أما تتناول سيرة السيدة عائشة رضي الله عنها بالترجمة والدراسة والتحليل، أو تتحدث عن الغزوة التي حدثت فيها قصة الإفك، والحديث عن الأحكام الفقهية المستنبطة منها، أو تفسير الآيات التي نزلت في شأن هذه الغزوة.

وبعض الدراسات تتحدث عن النفاق والمنافقين، وعلاقتهم بالحادثة، وعن القذف.

أما جانب الدروس والعبر فلم تتطرق إليه أي دراسة أخرى من قبل على حد علم الباحث، بل هي مبثوثة هنا وهناك، وبهذا الفرق تنفرد هذه الدراسة وتتميز.

---

(١) العبد اللطيف، إبراهيم عبد الحليم (١٩٩٠م) "حديث الإفك كما جاء في سورة النور وأثر المنافقين فيه "، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تقسيم الدراسة:

احتوت الدراسة في إطارها العام على مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وتضمنت مفردات الدراسة: أهميّة الدراسة وسبب اختيار الموضوع، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة ذات الصلة، ومنهج الدراسة.

أما **الفصل الأول** فقد احتوى على مبحثين، تناول المبحث الأول تعريف الافك لغة واصطلاحاً، أما المبحث الثاني فقد خُصص للتعريف بأم المؤمنين عائشة ﵂، اسمها ونسبها ومولدها ووفاتها وزواج النبي ﷺ بها وفضلها وصفاتها وما تميزت به، وعظيم أُنس النبي ﷺ بقُربها وحكم سبّها.

والفصل الثاني أحتوى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول الإفك كما ورد في نصوص الكتاب والسنة، والمبحث الثاني تناول أسباب خوض المنافقين في الإفك، وتطرق المبحث الثالث أهداف المنافقين في قصة الإفك.

أما **الفصل الثالث** والأخير وتضمَّن أربعة مباحث، تناول المبحث الأول دروس وعبر من حادثة الافك خاصة بالأفراد، بينما تناول المبحث الثاني دروس وعبر من حادثة الإفك خاصة بالأسرة، أما المبحث الثالث فقد تطرَّق دروس وعبر من حادثة الإفك خاصّة بالمجتمع، والمبحث الرابع بيّن دروس وعبر للدعاة من حادثة الإفك.

ثم جاءت الخاتمة التي تضمنت النتائج العامة والتي توصّل اليها بعد استكمال دراسة موضوع الدراسة وكان من أهمها:

١- إن محنة الإفك وإن كانت قاسية وشراً وبلاء في ظاهرها، إلا أن فيها الكثير من الخير والرفعة للرسول ﷺ وصحابته والمجتمع المؤمن، حيث فضح الله تعالى بها المنافقين،

وأظهر خطرهم لعامة المسلمين، وهي ابتلاء من الله تعالى لرسوله ﷺ ولصحابته الكرام، ليس الغرض منه الغضب أو العقاب، وإنما الغرض منه اختبار وامتحان قلوبهم وإيمانهم ورفع درجاتهم وتكفير ذنوبهم.

٢- إن حادثة الإفك أبرزت منهجًا إسلاميًا فريدًا في كيفية مواجهة الشائعات، ومحاربة مروّجيها، حيث جاء الإسلام بالتحذير من اللغو والحث على حفظ اللسان، فهي درس خُلُقي للمجتمع المسلم يهدف إلى تربية مسلم ينشأ على الخلق الإسلامي لتقومي السلوك الفردي والأسري والمجتمعي.

٣- بيَّنت حادثة الافك حكمة رسول ﷺ وبراعته في تصريف الأمور والقضاء على الفتنة التي كادت تقع في المجتمع المدني في ذلك الوقت، كما بيّنت قدرته ﷺ على التعامل مع الناس في ظل هذه الفتنة ومواجهتها ومعالجتها.

وبعد ذلك تم ذكر المقترحات والتوصيات على ضوء ما أسفرت الدراسة من نتائج، ومنها:

١- ضرورة اعتناء الأمة بالقران والكريم والسنة الشريفة، وسيرة السلف الصالح، والاستفادة منها عمليا في واقع الحياة ومحاضن التربية والتعليم لكي يمكن تشكيل الأفراد تشكيلا إسلاميا، ولاستخلاص كيفية مواجهة الأفكار والمفاهيم الدخيلة، والحفاظ عليها من التيارات والأفكار والمعاكسة للدين الإسلامي.

٢- ضرورة توفر القدوة الصالحة في البيئة الاجتماعية التي يعيشها الفرد، بحيث يشاهدها أمامه في كل وقت وفي كل مكان، فالفرد يحتاج إلى القدوة في جميع مراحل حياته طفلا وشابا وكهلا، فلا بد من توفر النموذج الذي يكون سلوكه مطابقًا لقوله، متمسكا بالأخلاق الفاضلة، وغياب القدوة قد يكون عاملا رئيسا في ضعف النفوس البشرية وبُعدها عن طريق الصواب. فالوالدين لا بد أن يكونا قدوة، بحيث لا يرى الأبناء منهما ما يتنافى والأخلاق الإسلامية،

ولا ما يخالف السلوك السوي، ولا يسمعون منهما إلا كل كلمة طيبة، وكذلك المعلم في المدرسة، والإمام في المسجد، والقائد في موقعه، وكل من كان نموذجا يُقتدى به.

كما أعد الباحث قائمة بالمراجع والمصادر التي تم الرجوع إليها في إعداد الدراسة، والتي استفاد منها عظيم الفائدة، وكانت عاملا مساعدا في انجاز الدراسة وإتمامها في صورتها النهائية.

وبعد الانتهاء – بعون الله وتوفيقه- من إعداد هذه الدراسة فإن الصعوبات والجهود التي بذلت فيه تهون أمام ما تم إنجازه، فلله الحمد والمنة على فضله العظيم، والشكر الكبير لكل من قدم المساعدة في إتمام هذه الدراسة بالقول أو العمل، وجزى الله الجميع الخير الكثير.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإفك لغة:

المطلب الثاني: تعريف الإفك اصطلاحا.

المبحث الثاني: التعريف بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمها ونسبها ومولدها ووفاتها وزواج النبي ﷺ بها وألقابها.

المطلب الثاني: فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

المطلب الثالث: ما تميزت به، وعظيم أُنس النبي ﷺ بقربها.

المطلب الرابع: بعض صفاتها الخُلُقية.

المطلب الخامس: حكم سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

المبحث الأول

تعريف الافك لغة واصطلاحا

المطلب الأول: تعريف الإفك لغة:

قال ابن فارس [١]: في بيان معنى الإفك في اللغة الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرَفه عن جهته.

يُقال أفك الشئ، وأفِك الرجل إذا كذب، والإفك الكذب، وأفكت الرجل عن الشيء إذا صرفته عنه قال تعالى: ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ** ﴾، وقال الراغب الأصفهاني، في بيان معنى الإفك: الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب مؤتفكة، قال تعالى: ﴿ **وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ** ﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى**﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [٤] أي يُصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل ومن الصدق في المقال إلى الكذب ومن الجميل في الفعل إلى القبيح.، ومنه قوله تعالى: ﴿ **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ** ﴾ [٥]، وقوله تعالى: ﴿**أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا**﴾ فاستعملوا الافك في ذلك لما اعتقدوا أن ذلك صرف من الحق إلى الباطل فاستعمل ذلك في الكذب لما قلنا.

---

(١) أبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، (١٩٩٤م)، معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، ط ١٩٩٤، ١، ص ٨٣

(٢) سورة الحاقة رقم الآية (٩)

(٣) سورة النجم رقم الآية (٥٣)

(٤) سورة التوبة رقم الآية (٣٠)

(٥) سورة الذاريات رقم الآية (٩)

وقال السمين الحلبي [١] في بيان معنى الإفك: "الإفك أشد الكذب، قال تعالى: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾، أصله من الصرف لأن الكذب صرف الكلام عما ينبغي أن يكون عليه:.

والإفك: صرف الشيء عما يحق أن يكون عليه، قال تعالى: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾؟ أي تُصرفون عن الصواب. ورجل مأفوك مصروف عن الحق إلى الباطل [٢]. والإفك هو الكذب لأنه قلب الحديث عن وجهه [٣].

وقوله: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ أي تصرفنا عن عبادتها، واستعملوا الإفك هنا لاعتقادهم أن ذلك من الكذب، وقيل: ارادوا لتخدعنا عنها بالإفك.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ مدائن قوم لوط لا نقلا بها وانصرافها عن جهاتها، وعرّف الرازي [٤] والإفك: هو أسوأ الكذب [٥]. وعرّفه أبي هلال العسكري بقوله [٦]: "الإفك هو الكذب الفاحش القبح مثل الكذب على الله ورسوله أو على القرآن ومثل قذف المحصنة وغير ذلك مما يفحش قبحه وجاء في القرآن على هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ.... ﴾ ويُقال للرجل إذا أخبر عن كون زيد في الدار وزيد في السوق أنه كذب ولا يقال أفك حتى يكذب كذبة يفحش قبحها، وأصله في العربية الصرف وفي القرآن ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي يُصرفون عن الحق وتسمى الرياح المؤتفكات لأنها تقلّب الأرض فتصرفها عما عهدت عليه.

---

(١) الحلبي، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين، (١٩٩٦م)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الشيخ، تحقيق: محمد التونخي، عالم الكتب، ج ١، ص ١٠٨، ١٠٧

(٢) الراغب الاصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروق، (١٣٨١ هـ، ١٩٦١ م)، المفردات في غريب القرآن،، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،، ص ٢٠، ١٩.

(٣) الزيدي، ابي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك، ط (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، غرائب القرآن وتفسيره:، حققه: محمد سليم الحاج، عالم الكتب بيروت، ص ١٦٥.

(٤) الرازي، محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين ط (١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر، ط، ج ٢٣، ص ١٧٣.

(٥) الأندلسي، أثير الدين أبي حيان، (١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م)، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب،، تحقيق: سهير المجدوب. المكتب الإسلامي،، ص ٤٦.

(٦) العسكري، أبي هلال، (١٣٥٣هـ)، الفروق اللغوية،: مكتبة القدس، حسام الدين القدسي. القاهرة، ص ٣٣.

وبين الإفك والكذب عموم وخصوص فقد يطلق على كل إفك كذب وقد لا يطلق على كل كذب إفك، فالكذب يدخل فيه الكذب المباح وهذا لا يسمى إفكًا كالكذب في الحرب وإصلاح ذات البين وعدة الزوجة. فلا يقال للإنسان أفاك حتى يكذب كذبة يفحش قبحها ومن هنا جاء العموم والخصوص بينهما[١].

وقال ابن منظور في بيان معنى الإفك: الإفك الكذب، والإفكية كالإفك، وإفك الناس: كذبهم وحديتهم بالباطل، والإفكية: هي الكذبة العظيمة، والإفك: بالفتح مصدر قولك أفكه عن الشيء يأفكه إفكًا صرفه عنه وقلبه، وقيل: صرفه بالإفك.

وفي التنزيل: ﴿ **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ** ﴾ قال الفراء: يريد يصرف عن الإيمان من صرف والإفاك: الذي يأفك الناس أي يصدهم عن الحق بباطله.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، الإفك في الأصل الكذب وأراد به هنا ما كذب عليها مما رميت به[٢].

والمؤتفكات: المدن التي قلبها الله تعالى على قوم لوط عليه السلام والمؤتفكات الرياح تختلف مهابها تقول العرب: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض.

والمأفوك: المأفون وهو الضعيف العقل والرأي. وقوله تعالى: ﴿ **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ** ﴾ قال مجاهد: يُؤفن عنه من أفن. وأرض مأفوكة أي لم يصبها مطر وليس بها نبات[٣].

وقد وصف الإفك في بعض آيات القرآن الكريم بالبهتان والافتراء فالمراد بالبهتان: هو

---

(١) الحسيني الموسوي، نور الدين بن نعمة الله (١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م)، فروق اللغات في التميز بين مفاد الكلمات،، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، مكتبة الرشد،، ص ٦٣، وأنظر الفروق اللغوية، أبي الهلال العسكري، ص٣٣

(٢) لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، ج ١، ط ٣، مادة إفك، ص ٩٧، وأنظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبي الحسين بن سيدة المرسي، المعروف بابن سيدة. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط ١٤٢١، ١ ه ٢٠٠٠ م، ج ٧، ص ٩٥، ٩٦، مادة أفك. وأنظر: مجمل اللغة، لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط ١٩٨٦، ٢ م، ج ١، ص ٩٩.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٩٧٩م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عّ طار، دار العلم للملايين، ط ٢، ج ٤، ص ١٥٧٣.

الكذب الذي يبهت سامعه أي يدهش ويتحير وهو أفحش الكذب لأنه إذا كان عن قصد يكون إفكا[١]، والافتراء: هو العظيم من الكذب، يقال لمن عمل عمً لا فبالغ فيه، إنه ليفرى الفري. ومعنى افترى: افتعل واختلق مالا يصح أن يكون[٢].

ومن خلال دراسة الباحث لآيات الإفك يرى أن أصحاب الإفك اتهموا أم المؤمنين بما لم تفعل مع علمهم بأنهم كاذبون في مقالتهم ولعظمة كذبتهم سماه المولى: ﴿ **بُهْتَاناً عَظِيماً**﴾، فالبهتان إذًا هو أعظم الكذب والإفك أشد من الكذب والبهتان أشد منه ولذلك جمع الله سبحانه وتعالى بينهما في وصف كذبهم العظيم على أم المؤمنين.

فالإفك هو الكذب الفاحش القبح قصد به الإضرار بالغير ولذلك يراد به السوء. ولم يسمى كذبًا لأن الكذب قد يكون لرفع ضرر أو جلب مصلحة ولكن الإفك المقصود به الإضرار بالغير لذلك أتهم الله تعالى عصبة الإفك بسوء القصد لأنهم يبغون إشاعة الفاحشة في المؤمنين.

وفي ضوء ما تقدم:

فمادة (**الإِفْك**) تدور حول: الصرف، والتصرف، والقَلْب، والتحول، والكذب مطلقًا، والافتراء والبهتان.

---

(١) الكفوي الحسيني، أبي البقاء أيوب بن موسى، (١٩٩٣م)، الكليات، اعتنى به وضع فهارسه، عدنان درويش، محمد المصري، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ م، ص (١٥٤.

(٢) المصدر السابق والصفحة.

المطلب الثاني: تعريف الإفك اصطلاحا:

من خلال بحث الباحث في الكتب المعنية بالتعريفات الاصطلاحية لم يجد للإفْك تعريفًا خاصّا يتميز به وينفرد عن المعنى اللُّغوي، أو يقيّد أصلَه وعمومه؛ ولذا عرفه بعض أهل العلم بنفس تعريفه لغةً؛ فقال: «الإفْك: كلُّ مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه»، ولم يذكر غيره[١] فالإفْك في الاصطلاح يرجع معناه إلى المعنى اللُّغوي، مثلاً بمثل؛ فهو: الصرف وقَلْب الشيء عن وجهه[٢]، والكَذب[٣]، إلا أنَّ كلمة (الإفْك) صارت في عُرف أهل التفسير والسير منصرِفةً إلى: ما أُفك به وكُذب وافتري على أم المؤمنين الصديقَة عائشة - رضي الله عنها - مما رميت به، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾؛ فاللام في كلمة (الإفك) للعهد وجوَّز بعض أهل العلم أن تكون للجنس؛ فيفيد القَصر؛ كأنه لا إفك إلا ذلك الإفْك!، فالتعريف فيه زيادة تبشيع لهذا القول في هذا المقام[٤]، فصار (الإفْك) منصرفًا ومتعلِّقًا بقصتها - رضي الله عنها -.

وسُمي إفْكًا لأنَّ عائشة - رضي الله عنها - كانت من أحق الناس بالثناء والمدح لما كانت عليه من الحَصانة والشرف والعفَّة والكَرم، كما أن الواقعة التي رُميت بسببها بالإفك - وهي مجيئها إلى الجيش في نحر الظهيرة يقودها صفوان بن المعطل رضي الله عنه على بعيره -واقعة لا تحتمل أي ريبة أو شك؛ فمن رماها بالسوء فقد أَفَكَ؛ أي أتى بأقبح الكذب وأسوئه وببهتان شديد فَجأَ الناس به، فقلب الأمر وصرفه عن أحسن وجوهه وعن حقيقته وصوابه إلى أقبح أقفائه؛ ليضلّ الناس

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص (٨١). وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (٣٤/١)، عمدة الحفاظ (٩٧/١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٣٨/٧)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١١/١٨)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥٥٠/٤).

(٢) الكفوي الحسيني، أبي البقاء أيوب بن موسى، مصدر سابق ص ٩٩٠.

(٣) المصدر السابق ص (١٥٣).

(٤) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١١/١٨)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٣٩/٥).

فيعتقدوا خلاف الحق والصواب![1]

وبذلك تظهر العلاقةُ واضحةً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة (الإِفْك).

❁ ❁ ❁

(١) أنظر معالم التنزيل (٢٢/٦)، مفاتيح الغيب (٣٤٢/٢٣)، نظم الدرر (٢٣٩/٥).

المبحث الثاني

التعريف بأم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها

المطلب الأول

اسمها ونسبها ومولدها ووفاتها

وزواج النبي ﷺ بها وألقابها

اسمها ونسبها: عائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي؛ القرشية التيمية المكية النبوية، وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب ابن أذينة الكنانية[١].

مولدها ووفاتها: ولدت في الإسلام، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين [٢]، وكانت ولادتها بعد المبعث بأربع سنين أو خمس[٣].

توفيت أم المؤمنين – رضي الله عنها – سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند الأكثر، وقيل سنة سبع، ودفنت بالبقيع[٤].

زواج النبي ﷺ بها: لما توفيت خديجة [٥] قالت خوَلة[٦] بنت حكيم بن الأوقص امرَأة عثمان [١] بن

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء. (١٣٥/٢)
(٢) المصدر السابق (١٣٩/٢).
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (١٦/٨)
(٤) المصدر السابق (٢٠/٨)

(٥) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، زوج النبي ﷺ وأول من صدقت ببعثته مطلقا، وكان تزويج النبي ص خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة وقيل أكثر من ذلك، توفيت لعشر خلون من رمضان سنة عشر من البعثة وهي بنت خمس وستين سنة، ودفنت بالحجون، ونزل النبي ﷺ في حفرتها. المصدر السابق (٦٠٠/٧).

(٦) خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية، امرأة عثمان بن مظعون، يقال كنيتها أم شريك ويقال لها خويلة بالتصغير، وكانت صالحة فاضلة، روت

مظعون، وذلك بمكة: أي رسول الله، ألا تزوج؟ فقال: ومن؟ قلت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا. قال "فمن البكر؟ " قلت: أبنة أحبّ خلق الله اليك: عائشة بنت أبي بكر[٢].

قال لها رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حريرٍ فيقول هذه امرأتك. فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه »[٣].

تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث سنين. وقيل: بأربع سنين. وقيل: بخمس سنين. وكان عمرها لما تزوجها رسول الله ست سنين، وقيل: سبع سنين. وبنى بها وهي بنت تسع سنين في المدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة منصرفة عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر[٤].

ألقابها: أم المؤمنين، زوجة النبي أفقه نساء الأمة على الإطلاق كناها رسول الله ﷺ بأم عبد الله، الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة[٥].

عن النبي ص روى عنها سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب وبشر بن سعيد وعروة. المصدر السابق (٦٢١/٧).

(١) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى، توفي بعد شهوده بدرا في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم. المصدر السابق (٤٦١/٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٠/٦)، المعجم الكبير (٣٢٩/١٦)، وقال شعيب الارنؤوط في تعليقه على المسند: اسناده حسن.

(٣) أخرجه البخاري (٧١/٥)، ومسلم واللفظ له (١٣٤/٧).

(٤) انظر سير أعلام النبلاء (١٣٥/٢)، والاصابة في تمييز الصحابة (٣٨٣/٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٨١/٢).

المطلب الثاني

فضل أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –

بلغت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من الفضل أعلى المراتب، ومن المجد أعلى المناقب، ف"أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها، وأن نساءه أمهات المؤمنين اللاتي مات عنهن كانت عائشة أحبهن إليه، وأعلمهن وأعظمهن حرمة عند المسلمين"[(١)].

قال النبي ﷺ مبينا للأمة فضلها: «كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[(٢)]. وهذا يعني: "أن الثريد من كل الطعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه، والشبع منه، وسهولة مساغه، والالتذاذ به، وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة، وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله، ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة" [(٣)]. وما يؤكدُه:

أولاً: الحب العظيم الذي كانت تحظى به من النبي ص، فحين سأل عمرو بن العاص رضي الله عنه النبي ﷺ : «أي الناس أحب إليك قال عائشة»[(٤)].

ولصدق هذا الحب شواهد عديدة منها:

❖ أمر النبي ﷺ سيدةَ نساء الجنة، فاطمة – رضي الله عنها – أنْ تُحبَّها، حين قالت: يا رسول الله إن

(١) منهاج السنة النبوية (٣٠٤/٤)
(٢) أخرجه مسلم (١٣٢/٧) رقم (٦٤٢٥)
(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٩٩/١٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦/٥) رقم (٣٦٦٢)، ومسلم (١٠٩/٧) رقم (٦٣٢٨).

أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقال لها الرسول ﷺ : «أي بنية ألست تحبين ما أحب. فقالت بلى. قال فأحبي هذه»

- ❖ مسابقته لها [١]، ووقوفه على باب حجرتها؛ لتنظر للأحباش وهم يلعبون[٢]، وانبساطه لحديثها[٣]، وضحكه حتى تبدوا نواجذه [٤]، وقد فطنت لذلك أم المؤمنين سودة بنت زمعة، فوهبت يومها لعائشة -رضي الله عنها-؛ ليبقيها رسول الله ﷺ في عصمته[٥].
- ❖ شهادة أم سلمة لعظيم حب رسول الله ﷺ لعائشة -رضي الله عنها- فتقول: "والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباها"[٦].
- ❖ دفاع الصحابة عنها، وتوبيخ من يتكّلم في شأنها بما لا يجوز؛ لما لها من مكانة عند رسول الله ﷺ؛ ولذلك عنف عمار رضي الله عنه تعرض لأذيتها - رضي الله عنها - فقال له: "اسكت مقبوحا، منبوحا [٧]، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ ".

ثانيا: نزل بسببها تخفيف للأمة، فعندما فقدت عقدها وهي مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، أقام النبي ﷺ على التماسه ، وأقام الصحابة معه، ولم يكونوا على ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه : "... ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر... "[٨]، وعرف هذا الفضل أبوها رضي الله عنه فقال لها: "والله ما علمت يا بنية، إنك لمباركة، ماذا جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر" [٩].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٤/٦)، رقم (٢٦٣٢٠) ابو داود (٣٣٤/٢) رقم (٢٥٨٠)، وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٤/١) رقم (١٣١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢/٣)، رقم (٢١٠١).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥/٧) رقم (٥١٨٩)، ومسلم (١٣٩/٧)، رقم (٦٤٥٨).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٨/٤)، رقم (٤٩٣٤)، وصححه الالباني في غاية المرام في تخريج احاديث الحلال والحرام (١٢٩).
(٥) أخرجه البخاري (٤٢/٧)، رقم (٥٢١٢)، ومسلم (١٧٤/٤)، رقم (٣٧٠٢).
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣/٤، ١٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
(٧) المنبوح: الذي يُضْرب له مَثَلُ الكلب. لسان العرب (٥٥٢/٢).
(٨) أخرجه البخاري (٩١/١) رقم (٣٣٤)، ومسلم في صحيحه (١٩١/١) رقم (٨٤٢).
(٩) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٢/٦)، رقم (٢٦٣٨٤)، وقال شعيب الارنؤوط في تعليقه على المسند: حديث صحيح.

ثالثًا: الخير العظيم الذي حصل بسببها من خلال قصة الإفك، حيث بينه المولى ﷻ في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[١].

رابعاً: العلم الوافر الذي حفظته من مشكاة النبوة، حين حملت للأمة ألفي ومائتين وعشرة أحاديث للنبي ﷺ [٢]، وهي تحظى بعظيم امتنان الله عز وجل لها وهي في كنف النبوة، تنهل من معين العلم، وتتربى فيه على أعلى درجات الأخلاق، وكان الصحابة ﷺ والتابعون - رحمهم الله- يأخذون من فقهها وعلمها، فكانوا "يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن أبي رباح - رحمه الله- : "كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيا في العامة"، وقال عروة - رحمه الله-: "ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً وعلوّ مجدٍ؛ فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة"[٣]، كما أنها صَحِبَت النبي ﷺ في آخر حياته عند كمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك أول زمن النبوة، فكانت أفضل هذه الزيادة؛ فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم والسنة ما لم يبلغه غيرها [٤] قال الذهبي[٥] - رحمه الله تعالى-: "ولا أعلم في أمة محمد ﷺ، بل ولا في النساء مطلقا، امرأة أعلم منها"[٦].

---

(١) سورة النور رقم الآية (١١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣٩/٢).
(٣) أسد الغابة (١٨٦/٧).
(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٣٠٤/٤).
(٥) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله التركماني الأصل، الفارقي، الدمشقي، أبو عبدالله شمس الدين الدمشقي، ولد في دمشق، في الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة من الهجرة، الزاهد الورع، صنف التصانيف الكثيرة المشهورة، توفي ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨ هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٠٠/٩)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٦٦/٥).
(٦) سير أعلام النبلاء (١٤٠/٢).

المطلب الثالث

ما تميزت به، وعظيم أُنس النبي ﷺ بقربها

تذْكر أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ما تميزت به عن غيرها من نساء الأمة فتقول: "لقد أُعطيت تسعا ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري، ولقد قبض ورأسه في حجري، ولقد قَبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة ببيتي وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفة وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلِّفْت طيبةً عند طيبٍ، ولقد وُعِدْت مُغفرةً ورزقًا كريما"(١).

ومن تتبع الأحاديث الصحيحة التي تصف حال النبي ﷺ مع زوجاته - رضي الله عنهن- وجد أنَّ رسول الله ﷺيتكرر نومه ووضع رأسه على فَخِذَ أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، مما يُبيّن شِدّةَ أُنس رسول الله ﷺ وهو في حجرها، والأحاديث التالية تبين ذلك.

الحديث الأول: في قصة سقوط القلادة حين نزلت آية التيمم، قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: "فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فقالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي" (٢).

الحديث الثاني: عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: "أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن" (٣).

الحديث الثالث: عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: إنه لم

(١) أخرجه إسحاق ابن راهوية (٢٢/٢)، وأبو يعلى (٩٠/٨)، رقم (٤٦٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٩١/١) رقم (٣٣٤)، ومسلم (١٩١/١) رقم (٨٤٢).
(٣) أخرجه البخاري (٨٢/١) رقم (٢٩٧)، ومسلم (١٦٩/١) رقم (٧١٩).

يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» فقلت إذًا لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح قالت فكانت آخر كلمة تكلم بها اللهم الرفيق الأعلى"[١].

الحديث الرابع: في بيتها توفى رسول الله ﷺ بين سحرها[٢] ونحرها، فتقول – رضي الله عنها –: "إنَّ من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه وقلت ألينه لك، فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمَرَّهُ"[٣].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (١٥/٦) رقم (٤٤٦٣)، ومسلم (١٣٧/٧) رقم (٦٤٥٠).
(٢) السحر: الرئة أي أنه مات وهو مستند إلى صدرها وما يحاذى سحرها منه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٤٦/٢).
(٣) أخرجه مسلم (١٣/٦) رقم (٤٤٤٩).

المطلب الرابع

بعض صفاتها الخُلُقيّة

تَرَبّت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - منذُ نعومة أظفارها في أعظم بيتين في هذه الأمة، بيت أبيها الصديق أبي بكر رضي وزوجها رسول الله ﷺ فنهَلَتْ أعظم الخصال الحميدة، الكريمة، وتحّلتْ بها في مسيرة حياتها العَطِرة، وكان منها ما يلي:

١- **الحياء**: ويتضح في قولها - رضي الله عنها -: "كنت أدخل بيتي الذي دُفِن فيه رسول الله ﷺ وأبي، فأضع ثوبي فأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم؛ فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة على ثيابي، حياءً من عمر"(١). كذلك: "كانت تطوف حَجْرَةً(٢) من الرِّجالِ، لا تخالطهم"(٣).

٢- **الكرم**: حيث كان يشغلها عن نفسها، فكانت تأتيها العطايا العظيمة فلا تمضي عليها الساعات إلا وقد ذهبت لمستحقيها من الفقراء والمساكين، فحين اشترى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه دار أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بمائة وثمانين ألف درهم، وقيل بمائتي ألف درهم، وشرط لها سكناها حياتها، حمل إليها المال فما رامت من مجلسها حتى قسمته، ويقال اشتراه ابن الزبير من عائشة بعث إليها يقال خمسة أجمال بخت(٤) تحمل المال فشرط لها سكناها حياتها فما برحت حتى قسمت ذلك. فقيل لها: لو خبأت لنا منه درهمًا. فقالت عائشة: لو ذكرتموني لفعلت(٥).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٢/٦)، وقال الالباني: صحيح كما في تخريج مشكاة المصابيح (١٧٧١).
(٢) أي ناحية منفردة غير بعيدة. فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠٢/١)
(٣) أخرجه البخاري (١٨٧/٢)، رقم (١٦١٨).
(٤) أجمال بخت: أي: الإبل الخراسانية. لسان العرب (٩/٢).
(٥) انظر الطبقات الكبرى (١٦٤/٨).

المطلب الخامس

حكم سب أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –

بيّن القرآن الكريم خطورة التعرض لسبِّ أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، ولذلك قال مالك بن أنس [١] – رحمه الله تعالى –: "من سبَّ أبا بكرٍ وعمر جُلد، ومن سبَّ عائشة قُتل، قيل له: لم يقتل في عائشة رضي الله عنها ، قال: لأنَّ الله تعالى يقول في عائشة – رضي الله عنها : ﴿ يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٢]، قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتل. وقول مالك هاهنا صحيح، وهي رِدّةٌ تامّةٌ، وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها" [٣].

واتفقت الأمة على كفر قَاذفها [٤]؛ لأن الذي يشتمها رد القرآن، وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم [٥]، ومن رماها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين، ولم ينعقد له نكاح على مسلمة [٦].

وهذه الأقوال من أعيان العلماء – رحمهم الله تعالى– مبنيةٌ على: "براءة عائشة – رضي الله عنها – من الإفك، وهى براءةٌ قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله– صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين" [٧].

---

(١) مالك بن أنس بن مالك، الأصبحي المدني، أبو عبدالله، شيخ الإسلام، وإمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأعلام. توفي سنة ١٧٩ هـ. انظر: وفيات الأعيان (١٣٥/٤)، وسير أعلام النبلاء (٤٨/٨)، تهذيب التهذيب (٥/١٠)

(٢) سورة النور، آية رقم (١٧).

(٣) انظر: المحلى (٥٠٤/١٣)، وأحكام القرآن (١٣٥٦/٣)، والشفا (٣٠٩/٢).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١٠٦/١).

(٥) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول (١٠٥١/٣).

(٦) المصدر السابق (١٠٥٨/٣)

(٧) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٧/١٧).

الفصل الثاني

حادثة الإفك الوقائع والأحداث.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإفك كما ورد في نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: أسباب خوض المنافقين في الإفك.

المبحث الثالث: أهداف المنافقين في قصة الإفك.

المبحث الأول

الإفك كما ورد في نصوص القرآن والسنة:

القرآن والسنة هما اللذان يجب الرجوع إليهما حفظاً وتعلماً وتفقهاً واستنباطاً وإفادة. وحادثة الإفك وردت في القرآن والسنة، فكان الواجب – قبل تناول الحادثة بالدراسة – الرجوع إلى ما ورد في القرآن والسنة من أحداث قصة الإفك؛ لتكون الدراسة مبنية على:

- الكتاب والسنة الصحيحة؛ فهما الخير كله؛ إذ فيهما الهدى والنور والبيان.
- الاستناد على الأصول الصحيحة؛ إذ لا قيمة لدراسة تعتمد على الضعيف والواهي، أو على ما لا قيمة له في نفسه.
- التصور الصحيح التام لأحداث قصة الإفك ووقائعها كما حصلت؛ فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، والاطلاع على الدليل سابق لمعرفة المدلول وأدعى لفقهه ومعرفة الفوائد التي تضمنها.

في ضوء ما تقدم؛ أشرع في بيان ما ورد في القرآن والسنة عن حادثة الإفك كما يأتي:

أولاً: الافك كما ورد في نصوص القرآن:

أورد القرآن الكريم حادثة الإفك في سورة النور، وقد اختلف أهل العلم من أهل التفسير وغيرهم في تعيين تلك الآيات على وجه التحديد وعددها، وذلك بناءً على اختلافهم في الموضع الذي تنتهي فيه، وذكر الألوسي[1] أن اختلافهم في عدد الآيات كأنه "مبني على الخلاف في رؤوس

(١) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد في الجملة، مجتهدا. ولد سنة ١٢١٧ هـ، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ. الأعلام (١٧٦/٧).

الآيات" [١].

وقد وقف الباحث على قولين لأهل العلم في ذلك:

الأول: أنَّ الآيات الواردة في قصة الإفك تبدأ من آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ وتنتهي بآية: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾.

وذلك استنادًا إلى الرواية المشهورة الواردة عن عائشة- رضي الله عنها -، والتي سيأتي سردها لاحقًا في هذا المبحث، وفيها: قالت عائشة - رضي الله عنها : "وأنزل الله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾[٢] العشر الآيات، ثم أنزل الله هذا في براءتي. قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره-: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾. إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣]، قال أبو بكر الصديق: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.... ".

وتوضح هذه الروايةَ رواياتٌ أخرى بينت أن المقصود: هو مجموع الآيات بدءًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، رواها البخاري في مواضع عِدّة من صحيحه بلفظ: (العشر آيات) مع إيراد الآيات التي نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه والتي أمره الله عز وجل بها أنْ يُحسِن لابن خالته مسطح رضي الله عنه[٤]، وكذلك في الرواية الأخرى عن الزهري[٥]: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١٥/١٨).
(٢) سورة النور، آية رقم (١١)
(٣) سورة النور، آية رقم (٢٢)
(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم (٤٦٩٠) (٤٧٥٠) (٦٦٧٩) (٧٥٠٠).
(٥) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر، الزهري، أحد الأئمة الأعلام، المتفق على جلالته وإتقانه، توفي سنة ١٢٤هـ. انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٩٠/١)، سير أعلام النبلاء (٣٢٦/٥)، تهذيب التهذيب (٣٩٥/٩).

(١).

فعلى هذا: تبدأ الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وتنتهي بالآية: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِّ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُّ لَكُمْ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهي الآية رقم (٢٢)، وعدد الآيات على ضوء ذلك: (١٢) آية، لكن قال الحافظ ابن حجر(٢): "وعدد الآي إلى هذا الموضع: ثلاث عشرة آية، فلعل في قولها: (العشر الآيات) مجازا بطريق إلغاء الكسر"(٣).

الثاني: أنَّ الآيات الواردة في قصة الإفك تبدأ من آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾، وتنتهي بآية: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ... ﴾:

وذلك بناء على الروايات الآتية:

١- روى الطبري(٤) عن عائشة قالت: رُميت بما رُميت به وأنا غافلة، فبلغني بعد ذلك، قالت: فبينما رسول الله ﷺ عندي جالس، إذ أوحي إليه، وكان إذا أوحي إليه أخذه كهيئة السبات، وأنه أُوحي إليه وهو جالس عندي، ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه، وقال: «يا عائشة، أبشري»، قالت: فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾حتى بلغ: ﴿ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٥).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٧/٨).
(٢) أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، المشهور بابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ توفي سنة ٨٥٢. الاعلام (١٧٨/١).
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٧/٨).

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، أبو جعفر، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الفقيه، المؤرخ توفي سنة ٣١٠هـ ببغداد. انظر: تاريخ بغداد (١٦٢/٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٧٨/١)، سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤).
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٢٧/١٧).

٢- وأخرج أيضا عن ابن زيد [١] في قوله: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ قال: "نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك، وكان عبدالله بن أبي هو الخبيث، فكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها، وكان رسول الله ﷺ طيبا، وكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، فكانت أولى أن يكون لها الطيب"، وفي قوله: ﴿ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ قال: ههنا برئت عائشة" [٢].

٣- أخرج الطبراني [٣]: لما خاض الناس في أمر عائشة - فذكر الحديث مختصرا-، وفي آخره: "فأنزل الله تعالى خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ "[٤]. وعلّق الحافظ ابن حجر على هذه الرواية بقوله: "وهذا فيه تجوز، وعدة الآي إلى هذا الموضع ست عشرة" [٥].

٤- روى ابن أبي حاتم [٦][٧]، والحاكم [٨] في الإكليل، عن سعيد بن جبير [٩] مرسلاً: "فنزلت ثماني عشرة آية متواليةً، كَذّبت من قذف عائشة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ إلى قوله ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

---

(١) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، العمري، المدني، صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد، وكتابا في الناسخ والمنسوخ، توفي: سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣٧/١٧)، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧١٥/١٠)، ولباب النقول في أسباب النزول ص (١٧١).

(٣) هو: الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، علم المعمرين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، الشامي، الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة. مولده: بمدينة عكا، في شهر صفر، سنة ٢٦٠هـ، وأمه عكاوية. توفي سنة ٣٦٠هـ. سير أعلام النبلاء (١٣٥/٣١).

(٤) المعجم الكبير (١٦٠/٢٣). فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٧/٨)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١١٥/١٨)، لباب النقول في أسباب النزول ص (١٧١)، ونقل عن الطبراني أنه قال عن السند: ((مرسل، صحيح الإسناد)).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٧/٨)، وتصحّف فيه ((الطبراني)) إلى: ((الطبري))!

(٦) عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو محمد التميمي الحنظلي، الإمام ابن الإمام حافظ الري وابن حافظها قال عنه الخليلي: أخذ علم أبيه وأبي زرعة وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال، صنّف في الفقه واختلاف الصحابة. توفي سنة ٣٢٩هـ. طبقات المفسرين ص (٥٢).

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٥٤٤/٨)، وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١٥/١٨).

(٨) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري، الشهير بالحاكم، الإمام، الحافظ، الناقد، أبو عبدالله، كان من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، وهو صاحب "المستدرك على الصحيحين"، توفي سنة ٤٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦٢/١٧)، الإعلام (٢٢٧/٦).

(٩) سعيد بن جبير بن هشام الوالبي مولاهم، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمد - ويقال: أبو عبد الله - الأسدي، الكوفي، أحد الأعلام. روى عن ابن عباس - فأكثر وجود- قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥هـ. سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤).

وعقّب عليها الحافظ ابن حجر بقوله: "وفيه ما فيه أيضا، وتحرير العدة سبع عشرة"[١]. أقول: بل تحرير العدة على هذه الرواية: ست عشرة آية، وهو ما ذكره الحافظ ابن حجر نفسه - كما تقدم آنفًا في الرواية السابقة-. وقد ذكر الألوسي أن "في كتاب العدد للداني ما يوافق المروي عن ابن جبير"[٢].

ففي هذه الروايات: تبدأ الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾وهي الآية رقم (١١) في سورة النور، وتنتهي بالآية: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهي الآية رقم (٢٦)، وعدد الآيات على ضوء ذلك: ست عشرة آية.

وأورد هاهنا الآيات الواردة في قصة الإفك - بناءً على أكثر عددٍ ورد في الروايات-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٧/٨).
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١٥/١٨).

رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) ﴾.

ثانيا: الافك كما ورد في نصوص السنة:

وردت قصة الإفك في مصادر السنة المتنوعة (الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها)، ولما كنت قد التزمت في خطة البحث بجمع ما يتعلق بقصة الإفك من الكتب التسعة) صحيحا: البخاري[١] ومسلم[٢]، وسنن: أبي داود[٣] والترمذي[٤] والنسائي[٥] وابن ماجه[٦]، ومسند الإمام أحمد[٧]، وموطأ الإمام مالك، وسنن الدارمي[٨]، فإنه يحسن هنا أن أنبّه إلى أنه لم يروِ حديثَ (حادثة الإفك) من

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، البخاري، أبو عبدالله، صاحب الصحيح الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله، توفي سنة ٢٥٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (٤/٢)، تذكرة الحفاظ (١٠٤/٢)، تهذيب التهذيب (٤١/٩).

(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم، القشيري، أبو الحسين، إمام أهل الحديث، وصاحب الصحيح المعروف بصحيح مسلم، توفي سنة ٢٦١هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠٠/١٣)، وفيات الأعيان (١٩٤/٥).

(٣) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، الأزدي السجستاني، أبو داود، الإمام الثبت سيد الحفاظ توفي سنة ٢٧٥هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (١٢٥/٢)، سير أعلام النبلاء (٤٠٤/٢).

(٤) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، الترمذي، أبو عيسى، الإمام الحافظ العلم، صاحب السنن المسماة بسنن الترمذي. توفي سنة ٢٠٧هـ بترمذ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٠/١٣)، تهذيب التهذيب (٣٤٤/٩).

(٥) أحمد بن شعيب بن علي، النسائي، أبو عبد الرحمن، الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام ناقد الحديث، صاحب السنن، توفي سنة ٣٠٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٥/١٤)، تذكرة الحفاظ (١٩٤/٢).

(٦) محمد بن يزيد بن ماجه، القزويني الربعي، أبو عبد الله، الحافظ الكبير المفسر، صاحب السنن والتفسير والتاريخ ومحدث تلك الديار، توفي سنة ٢٧٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (١٥٥/٢)، سير أعلام البنلاء (٢٧٧/١٣).

(٧) أحمد بن حنبل الشيباني، أبو عبدالله، جبل السنة، وأحد الأئمة الأربعة مع على إمامتهم وعدالتهم. توفي سنة ٢٤١هـ. انظر: طبقات الحنابلة (٣/١)، (١٧٧/١١)، تهذيب التهذيب (٦٢/١).

(٨) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، أبو محمد الحافظ، صاحب المسند، ثقة فاضل سنة ٢٥٥هـ. تقريب التهذيب ص (٣١١).

أصحاب الكتب التسعة إلا: الإمام البخاري، ومسلم، وأبو داود - طرفًا منه-، والإمام أحمد. ولم أجد له ذكرا فيما سوى ذلك من الكتب التسعة، اللهم إلا سنن الترمذي من رواية غير الزهري؛ فقد أخرج طرفًا من الحديث عن: هشام بن عروة [١]، عن أبيه [٢]، عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -.

وهذا هو سياق رواية حادثة الإفك:

قال الإمام مسلم بن الحَجّاج - رحمه الله- في صحيحه (٢٧٧٠):

حدثنا حبان بن موسى [٣]، أخبرنا عبد الله بن المبارك [٤]، أخبرنا يونس بن يزيد الأيلي [٥]. ح: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي [٦] ومحمد بن رافع [٧] وعبد بن حميد [٨].

قال ابن رافع: حدثنا، وقال الآخران: أخبرنا عبد الرزاق [٩]، أخبرنا معمر [١٠]-والسياق حديث معمر من رواية عبد وابن رافع-. قال يونس ومعمر جميعا: عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب [١١]، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص [١] [الليثي]، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود،

---

(١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشي الأسدي الزبيري المدني، أبو المنذر، الإمام الثقة شيخ الإسلام، ولد سنة ٦١هـ، وتوفي سنة ١٤٦هـ. سير أعلام النبلاء (٣٤/٦).

(٢) عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المدني، أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان عالمًا بالسيرة حافظًا ثبتًا صالحًا. توفي سنة ٩٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢٥٥/٣)، سير اعلام النبلاء (٤٢١/٤)، تهذيب التهذيب (١٦٣/٧).

(٣) حبان بن موسى بن سوار، السلمي المروزي الكشميهني، أبو محمد، توفي سنة ٢٣٣هـ. تهذيب التهذيب (١٥٢/٢).

(٤) عبد الله بن المبارك بن واضح، الحنظلي - مولاهم- التركي ثم المروزي، أبو عبد الرحمن، الإمام الحافظ الغازي أحد الأعلام، شيخ الإسلام وعالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته، ولد سنة ١١٨هـ وتوفي سنة ١٨١هـ. سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨).

(٥) يونس بن يزيد ابن أبي النجاد، الأيلي، أبو يزيد، مولى معاوية بن أبي سفيان الأموي، الإمام الثقة المحدث. توفي سنة ١٥٩هـ على الصحيح. انظر سير أعلام النبلاء (٢٩٧/٦)، تقريب التهذيب ص (٦١٤).

(٦) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه، الحنظلي المروزي، أبو محمد، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل، مات سنة ٢٣٨هـ. تقريب التهذيب ص (٩٩).

(٧) محمد بن رافع بن أبي زيد (سابور)، القشيري مولاهم النيسابوري، أبو عبد الله، الإمام الحافظ الحجة القدوة، بقية الأعلام، توفي سنة ٢٤٥هـ. سير أعلام النبلاء (٢١٤/١٢).

(٨) عبد بن حميد بن نصر، يقال: اسمه عبد الحميد، الكَسي - ويقال له: الكَشي-، أبو محمد، الإمام الحافظ الحجة الجوال، توفي سنة ٢٤٩هـ. سير أعلام النبلاء (٢٣٥/١٢).

(٩) عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحميري - مولاهم- الصنعاني، أبو بكر، ثقة حافظ شهير، عمي في آخر عمره. توفي سنة ٢١١هـ. تهذيب التهذيب (٢٧٨/٦)، تقريب التهذيب ص (٣٥٤).

(١٠) معمر بن راشد الأزدي، الحداني البصري، أبو عروة، نزيل اليمن، ثقة ثبت، توفي سنة ١٤٥هـ. تهذيب الكمال (٣٠٣/٢٨)، تهذيب التهذيب (٢١٨/١٠).

(١١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، القرشي المخزومي، أبو محمد، الإمام العلم، عالم من أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، توفي سنة ١٩٣هـ. سير أعلام النبلاء (٢١٧/٤).

عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا.

[قال الزهري]: وكّلهم حدثني [بـ] طائفة من حديثها [الـذي حـدثني]، وبعضـهم كـان أوعـى لحديثها من بعض، وأثبت [له] اقتصاصا، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حـدثني [عن عائشة]، وبعض حديثهم يصدق بعضا، [وإن كان بعضهم أوعى له من بعـض] (٢)؛ ذكـروا (٣) أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسـول الله ﷺ إذا أراد أن يخـرج سـفرا؛ أقـرع بـين نسـائه (٤)؛ فأيتهن [ي] (٥) خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه"وَكَـانَ يَقْسِـمُ لِكُـلِّ امْـرَأَةٍ مِـنْهُنَّ يَوْمَهَـا وَلَيْلَتَهَا غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زُمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ "(٦).

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة (٧)غزاها (٨)؛ فخرج فيها سـهمي؛ فخرجـت مـع رسـول الله ﷺ ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فأنا (٩)أحمل في هودجي (١٠)وأنزل فيه مسيرنا (١١)؛ حتى إذا فرغ رسـول الله ﷺ من غزو [ته تلك] (١٢)وقفل (١٣)؛ ودنونا من المدينة [قافلين] (١٤)؛ آذن (١٥)ليلة بالرحيل؛ فقمـت حين آذنوا بالرحيل؛ فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلـما قضـيت مـن شـأني أقبلـت إلى الرحـل؛

(١) علقمة بن وقاص بن محصن بن كلدة، الليثي العتواري المدني، أحد العلماء، حدث عن عمر وعائشة وبلال بن الحارث المزني وعمرو بن العاص وابن عمر رضي الله عنه، له أحاديث ليست بالكثيرة، وثّقه ابن سعد والنسائي، توفي في دولة عبدالملك بن مروان. سير أعلام النبلاء (٦١/٤).
(٢) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (١٩٧/٦).
(٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١): زعموا، وفي (٤١٤١) ومسند الإمام أحمد) ١٩٧/٦): قالوا.
(٤) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١)، ومسند الإمام أحمد (١٩٧/٦): أزواجه.
(٥) صحيح البخاري (٢٨٧٩).
(٦) صحيح البخاري (٢٦٨٨، ٢٥٩٣)
(٧) في صحيح البخاري (٢٦٦١): غزاة. وهي غزوة بني المصطلق، وصرح بذلك محمد بن إسحاق في روايته، وكذا أفلح بن عبد الله عند الطبراني، وعنده في رواية أبي أويس: فخرج سهم عائشة في غزوة بني المصطلق من خزاعة، وعند البزار من حديث أبي هريرة: فأصابت عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).
(٨) بوب الإمام البخاري في صحيحه (٤٢٨/٧- مع فتح الباري): باب غزوة بني المصطلق من خزاعة وهى غزوة المريسيع... وقال النعمان بن راشد عن الزهرى: كان حديث الإفك في غزوة المريسيع.
(٩) أي: بعد ما نزل الأمر بالحجاب، والمراد: حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن، وكن قبل ذلك لا يمنعن. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).
(١٠) الهودج: مركب من مراكب النساء، له قبة تستر بالثياب ونحوها ليكون أستر لهن، يوضع على ظهر البعير. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٤/١٧)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).
(١١) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١): فسِرنا.
(١٢) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١)، وفي صحيح مسلم: غزوه
(١٣) أي: رجع من غزوته. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).
(١٤) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١).
(١٥) بمعنى: أعلم بالرحيل. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).

فلمست صدري فإذا عقدي من جزَع [١] ظَفَارِ [٢] قد انقطع! فرجعت فالتمست عقدي؛ فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط، الذين كانوا يرحلون لي؛ فحملوا هودجي؛ فرحلوه على بعيري الذي كنت أركبه وهم يحسبون أني فيه! قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافًا؛ لم يَهبّلن [٣] ولم يغشهن [٤] اللحم؛ إنما يأكلن العُلْقة [٥] من الطعام! فلم يستنكر القوم ثقل [٦] الهودج حين رحلوه ورفعوه [٧]؛ [فاحتملوه] [٨]، وكنت جارية حديثة السن؛ فبعثوا [٩] الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش؛ فجئت منازلهم وليس بها [منهم] داع ولا مجيب! فتيممت [١٠] منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليَّ! فبينا أنا جالسة في مترلي؛ غلبتني عيني فنمت! وكان صفوان بن المعطل - السلمي ثم الذكواني [١١] - قد عرس [١٢] من وراء الجيش؛ فأدلج [١٣] فأصبح عند مترلي؛ فرأى سواد إنسان نائم؛ فأتاني فعرفني حين رآني - وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليَّ -؛ فاستيقظتُ باسترجاعه [١٤] حين عرفني؛ فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما

---

(١) الجزْع: الخرَزُ اليماني، الواحدة جَزْعة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٦٩/١)، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٤/١٧).

(٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١): أظفار. و (ظَفَار): قرية في اليمن، وهي مبنية على الكسر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٥٨/٣)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٤/١٧).

(٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١): يثقلن، وفي (٤٧٥٠): يثقلهن، وفي مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦، ١٩٧، ١٩٨): يهبلهن. ومعنى (لم يهبلن): لم يكثر عليهن اللحم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٣٩/٥).

(٤) أي: لم يغط اللحم بعضه بعضا. مختار الصحاح ص (٤٧٥، ٦٨٩).

(٥) أي: القليل. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٤/١٧)..

(٦) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١): خفة..

(٧) في صحيح البخاري (٤١٤١): رفعوه وحملوه.

(٨) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٩) أي: أثاروه. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٠/٨).

(١٠) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٢٦٦١): فأممت، وفي مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦، ١٩٧): فيممت. ومعنى (فتيممت): قصدت. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٩/٥)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٥/١٧).

(١١) صفوان بن المعطل بن رحضة بن المؤمل، السلمي ثم الذكواني، أبو عمرو، سكن المدينة وشهد الخندق والمشاهد - في قول الواقدي-، ويقال: أول مشاهده المريسيع، قتل في غزوة أرمينية شهيدا سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٧٢٥/٢)، أسد الغابة (٣١/٣)، سير أعلام النبلاء (٥٤٥/٢)،، الإصابة في تمييز الصحابة (٤٤٠/٣).

(١٢) التعريس: النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٥/١٧).

(١٩)

(١٣) هو سير آخر الليل. المصدر السابق (١٠٥/١٧).

(١٤) أي: انتبهت من نومي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون. المصدر السابق (١٠٥/١٧)

يكلمني [١] كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه! [وهوى] حتى أناخ راحلته؛ فوطىء على يد [ي] ها؛ [فقمت إليها] فركبتها؛ فانطلق يقود بي الراحلة؛ حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين [٢] في نحر الظهيرة [٣]، [وهم نزول. قالت] [٤]: فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبر [الإفك] [٥]: عبدالله بن أبي بن سلول.

قال عروة: أخبرت أنه كان يُشاع ويُتَحَدَّث به عنده فيقرّه، ويستمعه، ويستوشيه. » [٦].

وقال عروة أيضا: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت [٧]، ومسطح بن أثاثة [٨]، وحمنة بنت جحش [٩]، في ناس آخرين، لا علم لي غير أنهم كما قال الله تعالى-، وإن كبر ذلك يقال عبدالله بن أبى ابن سلول.

قال عروة: كانت عائشة تكره أن يُسبّ عندها حسان؛ وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي * * * لعرض محمد منكم وقاء [١٠]

[قالت عائشة] [١١]: فقدمنا المدينة؛ فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرًا، والناس يفيضون في قول

---

(١) قال ابن حجر: ((عبرت بهذه الصيغة إشارة إلى أنه استمر منه ترك المخاطبة لئلا يفهم لو عبرت بصيغة الماضي اختصاص النفي بحال الاستيقاظ، فعبرت بصيغة المضارعة)). فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٣/٨).
(٢) في رواية أخرى لمسلم: موعرين - بالعين المهملة-، وفي صحيح البخاري (٢٦٦١): مُعَرِّسين
(٣)) نحر الظهيرة: أولها، وهو وقت شدة الحر. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٤/٨).
(٤) صحيح البخاري (٤١٤١).
(٥) صحيح البخاري (٤١٤١). وفي (٤٧٥٠): تولى الإفك، وفي صحيح مسلم: تولى كبره.
(٦) أي يستخرج الحديث بالبحث عنه. لسان العرب (٣٩٢/١٥).
(٧) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، الأنصاري الخزرجي ثم النجاري، يكنى أبا الوليد وهي الأشهر، شاعر رسول الله ص، وهو الذي قال له النبي ص كما في الصحيحين: "اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"، عاش مائة وعشرين سنة، ستون في الجاهلية، وستون في الإسلام، مات سنة ٤٠، وقيل ٥٠، وقيل ٥٤هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٤١/١)، أسد الغابة (٦/٢) سير أعلام النبلاء (٥١٢/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦٢/٢).
(٨) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، كان اسمه عوفًا، وأما مسطح فهو لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت وأسلم أبوها قديما، وكان أبو بكر يمونه لقرابته، مات سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان، ويقال: عاش إلى خلافة علي وشهد معه صفين، مات سنة سبع وثلاثين. انظر: أسد الغابة (١٥٠/٥)،)، سير أعلام النبلاء (١٨٧/١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٩٣/٦).
(٩) حمنة بنت جحش الأسدية، أخت أم المؤمنين زينب، وكانت زوج مصعب بن عمير فقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، كانت من المبايعات، وشهدت أحدا، فكانت تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم. انظر: أسد الغابة (٧١/٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥٨٦/٧).
(١٠) صحيح البخاري (٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (١٧٩/٦).
(١١) صحيح البخاري (٤١٤١).

أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك! وهو يَرِيبني[١] في وجعي أني لا أعرف من رسول اللهﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي! إنما يدخل [عليَّ][٢] رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: "كيف تيكم[٣]؟ "، [ثم ينصرف][٤]؛ فذاك [الذي] يريبني! ولا أشعر بالشر!

حتى خرجت بعدما نقهت[٥]، وخرجت معي أم مسطح[٦] قبل المناصع[٧]—وهو متبرزنا—، و [كنا] لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنف[٨] قريبا من بيوتنا. [قالت]: وأمرنا أمر العرب الأول في [البرية أو في] التنزه[٩][١٠]، وكنا نتأذى بالكنفأن نتخذها عند بيوتنا!

[قالت][١١]: فانطلقت[١٢] أنا وأم مسطح - وهي: بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها: ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها: مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب-؛ فأقبلت أنا وبنت أبي رهم[١٣] قبل بيتي حين[١٤] فرغنا من شأننا [نمشي][١٥]؛ فعثرت أم مسطح في مُرطها[١٦]؛ فقالت: تَعِس[١٧] مسطح! فقلت لها: بئس ما قلت! أتسبين رجلا قد شهد بدرًا؟! [ف]

---

(١) يقال: رابه وأرابه إذا أوهمه وشككه. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٦/١٧).
(٢) صحيح البخاري (٤١٤١).
(٣) تيكم: إشارة إلى المؤنثة. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٦/١٧).
(٤) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١).
(٥) نقه المريض ونَقَه: برأ وأفاق وكان قريب العهد بالمرض، ولم يرجع إليه كمال صحته وقوته. النهاية في غريب الحديث والأثر (١١٠/٥)، والقاموس المحيط ص (١٦١٩)، ومختار الصحاح ص (٦٨٨).
(٦) سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق، وقيل أم مسطح: اسمها ريطة بنت صخر بن عامر بن سعد بن تيم. وقال ابن حجر: رائطة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٢٢٤/٣) و (١٤٧٢/٤)، وطبقات ابن سعد (٢٢٨/٨) و (١٦٩/٥٣)، وأسد الغابة (٢٩٦/٤) و (٣٨٣/٧)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٥/٨).
(٧)
(٨) الكُنف: جمع كنيف، وهو الساتر، والمراد به هنا: المكان المتخذ لقضاء الحاجة. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٥/٨).
(٩) التنزه: طلب النزاهة، والمراد: البعد عن البيوت. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٥/٨).
(١٠) في صحيح البخاري (٤١٤١): في البرية قبل الغائط، وفي (٤٧٥٠): في التبرز قبل الغائط.
(١١) صحيح البخاري (٤١٤١).
(١٢) في صحيح البخاري (٤٠٢٥، ٢٦٦١): فأقبلتُ.
(١٣) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١): أنا وأم مسطح.
(١٤) في صحيح البخاري (٤٧٥٠): قد.
(١٥) صحيح البخاري (٢٦٦١).
(١٦) المرط: كساء من صوف وقد يكون من غيره. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٧/١٧).
(١٧) تَعِس: أي عثر فسقط على وجهه، وقيل معناه: بَعُد، وقيل: هلك أو لزمه الشر. هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص٩٣).

(١) قالت: أي (٢) هنتاه (٣)، أو لم تسمعي ما قال [وا] (٤): ([قالت] (٥): [و] (٦) قلت: وماذا قال؟! قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك! قالت:

فازددت مرضًا إلى مرضي! فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله ﷺ فسلَّم (٧)، ثم قال: "كيف تيكم؟ "؛ [فـ] (٨) قلت [له]: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما! قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي؛ فقلت لأمي؛ يا أمتاه ما [ذا] (٩) يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية؛ هوني عليك الشأن! فوالله؛ لقلما كانت امرأة قط وضيئة (١٠) عند رجل يحبها ولها ضرائر (١١) إلا أكثرن عليها! قالت: فقلت: سبحان الله! أول قد يتحدث الناس بهذا؟! قالت: فبكيت تلك الليلة؛ حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع (١٢)، ولا أكتحل بنوم (١٣)، ثم أصبحت أبكي!.

قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد (١٤) -حين استلبث (١٥) الوحي-؛ يسألهما وهو يستشيرهما (١٦) في فراق أهله! قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري (٤١٤١، ٢٦٦١).
(٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١): يا.
(٣) هذه اللفظة تختص بالنداء، ومعناها: يا هذه، وقيل: يا امرأة، وقيل: يا بلهاء -كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم-. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٧/١٧).
(٤) صحيح البخاري (٢٦٦١).
(٥) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١).
(٦) صحيح البخاري (٤١٤١).
(٧) في صحيح البخاري (٤٧٥٠): تعنى: فسلم.
(٨) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١).
(٩) صحيح البخاري (٤١٤١)
(١٠) الوضاءة: الحسن والبهجة، أي: حسنة جميلة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٤/٥)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٧/٨).
(١١) جمع ضرة، هن: زوجات الرجل؛ لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى بالغيرة والقسم وغيره. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٦/١٧).
(١٢) لا يرقأ لي دمع: أي لا ينقطع. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٨/١٧).
(١٣) لا أكتحل بنوم استعارة للسهر، أي لا أنام. انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٨/٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٧/٨).
(١٤) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل، المولى الأمير الكبير الحبُّ ابن الحب، صحابي جليل، مات في المدينة سنة ٥٤هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٧٥/١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥٣/٨).
(١٥) أي: أبطأ ولبث ولم ينزل. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٨/٧).
(١٦) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٢٦٣٧): يستأمرهما.

بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال أسامة: يا رسول الله؛ هم أهلك، ولا نعلم والله إلا خيرا. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير! وإن تسأل (١) الجارية تصدقك.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة(٢) فقال: "أي (٣) بريرة؛ هل رأيتِ من شيء يريبك (٤) من عائشة؟ " (٥) قالت له بريرة: [لا] (٦) - والذي بعثك بالحق-! إن (٧) رأيت عليها (٨) أمرًا قط (٩) أغمصه (١٠) عليها أكثر من أنها (١١) جارية حديثة (١٢) السن؛ تنام عن عجين أهلها (١٣) فتأتي الداجن (١٤) فتأكله!

قالت: فقام رسول الله ﷺ [من يومه] (١٥) على المنبر؛ فاستعذر (١٦) يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول؛ فقالت: فقال رسول الله ﷺ - وهو على المنبر-: يا معشر المسلمين؛ من يعذرني من رجل قد بلغ [ني] (١٧) عنه أذاه في أهل بيتي

---

(١) في صحيح البخاري (٧٣٦٩، ٤١٤١، ٢٦٦١): وسَل.
(٢) بريرة: مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وكانت مولاة لبعض بني هلال. وقيل: كانت مولاة لأبي أحمد بن جحش. وقيل: كانت مولاة أناس من الأنصار، فكاتبوها ثم باعوها من عائشة، فأعتقتها، واسم زوجها مغيث وكان مولى فخيرها رسول الله ص فاختارت فراقه. انظر: أسد الغابة (٣٧/٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥٣٥/٧).
(٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١): يا.
(٤) الريب: بمعنى الشَّك. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٨٦/٢).
(٥) في صحيح البخاري (٤١٤١): هل رأيتِ فيها شيئًا يريبك، وفي (٤٧٥٠): هل رأيتِ عليها من شيء يريبك.
(٦) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٢٦٦١).
(٧) في صحيح البخاري (٤١٤١): ما.
(٨) في صحيح البخاري (٢٦٦١): منها.
(٩) في صحيح البخاري (٧٣٦٩): ما رأيتُ أمرًا.
(١٠) أي: أعيبها به وأطعن به عليها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٨٦/٣).
(١١) في صحيح البخاري (٤١٤١): غير أنها.
(١٢) أي: صغيرة السن. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٠/٨).
(١٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١): العجين.
(١٤) هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها، النهاية في غريب الحديث والأثر (١٠٢/٢).
(١٥) صحيح البخاري (٢٦٦١).
(١٦) أي: أنه قال: من يعذرني فيمن آذاني في أهلي. كما بينه في هذا الحديث، ومعنى (من يعذرني): من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني، وقيل معناه: من ينصرني. انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٩/١٧).
(١٧) صحيح البخاري (٧٣٦٩، ٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٣٧، ٢٦٦١)، ومسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).

[١]؛ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي!

قالت: فقام سعد بن معاذ [٢]الأنصاري أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا والله أعذرك منه – يا رسول الله–! فإن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك! قالت: فقام رجل من الخزرج – وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه–، وهو، سعد بن عبادة [٣]، وهو سيد الخزرج. قالت: وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن اجتهلته [٤]الحمية [٥]! فقال لسعد بن معاذ: كذبت –لعَمُر [٦]الله–! لا تقتله، ولا تقدر على قتله! [وَلَوْ كانَ مِنْ رَهْطِكَ [٧]ما أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ! فقام أسيد بن حضير [٨]وهو ابن عم سعد بن معاذ– فقال لسعد بن عبادة: كذبت – لعمر الله–! والله لنقتلنه! فإنك منافق تجادل عن المنافقين! قالت: فثار [٩]الحيان الأوس [١٠] والخزرج [١١]؛ حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر! [قالت] [١٢]: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم [١٣][١٤]؛ حتى سكتوا وسكتَ! .

---

(١) في صحيح البخاري (٧٣٦٩، ٤١٤١، ٢٦٦١): في أهلي.
(٢) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأنصاري، سيد الأوس، شهد بدرا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرا حتى حكم في بني قريظة، توفي سنة ٥ هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٦٠٢/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨٤/٣).
(٣) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، الأنصاري الخزرجي، ممن شهد العقبتين وكان أحد النقباء، مات سنة ١٥هـ وقيل ١٦هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٥٩٤/٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦٥/٣).
(٤) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١)، ورواية أخرى لمسلم، ومسند الإمام أحمد (١٩٧/٦): احتملته.
(٥) حَمَلَتْه الأَنَفَة والغضب على الجهل. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٢٢/١).
(٦) العمر: هو البقاء، وهو العُمُر، لكن لا يستعمل في القسم إلا بالفتح. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٢/٨).
(٧) الرَّهط: العدد من الثلاثة إلى عشرة. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٩/٨).
(٨) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك، الأوسي الأنصاري، شهد العقبة الثانية والمشاهد كلها إلا بدرا فاختلف في شهودها توفي سنة ٢٠ هـ وقيل: ٢١ هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٢/١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨٣).
(٩) أي: تناهضوا للنزاع والعصبية. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٠/١٧).
(١٠) بنو الأوس بن حارثة بن ثعلب بن مزيقيا، وهم أحد قبيلتي الأنصار، وكان لهم ملك يثرب، نزلوها عند خروجهم من اليمن وجاء الإسلام وهم بها فكانوا أنصارًا للنبي ص. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٣٣/١).
(١١) بنو الخزرج: بطن من مزيقيا من الأزد، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم: الخزرج، وهؤلاء هم المراد بالخزرج عند الإطلاق، وهم إحدى قبيلتي الأنصار إخوة الأوس، ويقال لكليهما بنو قيلة. انظر: المصدر السابق (١٩/١).
(١٢) صحيح البخاري (٤١٤١).
(١٣) أي: يُسكّنهم ويُهوِّن عليهم الأمر، مِن الخَفض: الدَّعة والسُّكون. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥٤/٢).
(١٤) في صحيح البخاري (٢٦٦١): فترلَ فخفضهم.

قالت: وبكيت [١] يومي ذلك [كلّه] [٢]، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم! ثم بكيت ليلتي المقبلة؛ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم! وأبواي يظنان أن البكاء فالق [٣] كبدي [٤]!

قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي؛ إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار، [٥] فأذنت لها؛ فجلست تبكي معي!.

قالت: فبينا نحن على ذلك؛ إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلَّم، ثم جلس.

قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يُوحَى إليه في شأني بشيء!.

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: "أما بعد؛ يا عائشة؛ فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا [٦]، فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله، وإن كنتِ ألممت [٧] بذنب؛ فاستغفري الله وتوبي [٨] إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنب [هـ] [٩] ثم تاب؛ تاب الله عليه." [١٠]

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي [١١]، حتى ما أحس منه قطرة! فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال! فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ! فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال فقالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت:

---

(١) في صحيح البخاري (٤٧٥٠): فمكثتُ.
(٢) صحيح البخاري (٤١٤١).
(٣) الفَلَق: الشق. انظر: لسان العرب (٣٠٩/١٠).
(٤) وفي رواية أخرى للبخاري (٢٦٦١): [قالت]: فأصبح عندي أبواي، قد بكيت ليلتين ويومًا [لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم]، حتى [إني لـ] أظن (وفي رواية: يظنان) أن البكاء فالقٌ كبدي.
(٥) قال ابن حجر: ((لم أقف على اسمها)). فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٤/٨).
(٦) قال ابن حجر: ((هو كناية عما رميت به من الإفك، ولم أر في شيء من الطرق التصريح، فلعل الكناية من لفظ النبي ص)). فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٥/٨).
(٧) أي: قارَبْتِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٧٢/٤).
(٨) في مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦): ثم توبي.
(٩) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٢٦٦١).
(١٠) جاء في إحدى روايات مسند الإمام أحمد (٢٦٤/٦): فاستغفري الله؛ فإن التوبة من الذنب: الندم والاستغفار. وأخرج هذه الرواية - أيضًا -: الحميديُّ في مسنده (٢٨٤)، قال: وربما قال سفيان... فذكره، وأكثر ذلك يقول على الأول [يعني: الرواية الأولى]، وضعّفه الأرناؤوط في تحقيقه ل المسند (٣١٤/٤٣).
(١١) أي: ارتفع وذهب. النهاية في غريب الحديث والأثر (١٠٠/٤).

فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن - [(١)]: إني والله لقد عرفت [(٢)] أنكم قد سمعتم بهذا الحديث [(٣)]، حتى استقر في نفوسكم [(٤)] وصدقتم به! فإن [(٥)] قلت لكم إني بريئة - والله عز وجل يعلم أني لبريئة -؛ لا تصدقوني بذلك! ولئن اعترفت لكم بأمر - والله عز وجل يعلم أني منه بريئة -؛ لتصدقونني! وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)!

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي! قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة [(٦)]، وأن الله مبرئي ببراءتي [(٧)]، ولكن والله ما كنت أظن [(٨)] أن [الله] [(٩)] ينزل [(١٠)] في شأني [(١١)] وحي [ا] [(١٢)] يتلى! ولشأني كان أحقر [(١٣)] في نفسي [(١٤)] من أن يتكلم الله عز وجل فيَّ بأمر يتلى [(١٥)]! ولكني [(١٦)] كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله [عز وجل] [(١٧)] بها.

قالت: فوالله؛ ما رام [(١٨)] رسول الله ﷺ من مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد؛ حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء [(١٩)] عند الوحي؛ حتى إنه ليتحدر منه

---

(١) في صحيح البخاري (٤١٤١): لا أقرأ من القرآن كثيرًا.
(٢) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١): علمت.
(٣) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١). وفي (٢٦٦١): سمعتُم ما يتحدث به الناس.
(٤) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١): أنفسكم، وفي (٢٦٦١):... ووقرَ في أنفسكم.
(٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١)، ومسند الإمام أحمد (١٩٤/٦): ولئن، وفي صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١): فلئن.
(٦) في صحيح البخاري (٤١٤١): والله يعلم أني حينئذ بريئة.
(٧) في صحيح البخاري (٧٥٤٥): وأنَّ الله يبرئني، وفي (٢٦٦١): وأنا أرجو أن يبرئني الله.
(٨) في صحيح البخاري (٢٦٦١): ما ظننتُ.
(٩) صحيح البخاري (٧٥٤٥، ٧٥٠٠، ٤٧٥٠، ٤١٤١).
(١٠) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١): منزل.
(١١) في صحيح البخاري (٧٥٠٠): براءتي.
(١٢) صحيح البخاري (٧٥٤٥، ٧٥٠٠، ٤٧٥٠، ٤١٤١). وفي (٢٦٦١): أن ينزل في شأني وحيًا.
(١٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١): ولأنا أحقر.
(١٤) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١، ٧٥٤٥، ٧٥٠٠)، وسنن أبي داود (٤٧٣٥): ولشأني في نفسي كان أحقر.
(١٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١): من أن يتكلَّم بالقرآن في أمري.
(١٦) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (١٩٤/٦): ولكن.
(١٧) مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).
(١٨) أي: ما برح وما فارق مجلسه. النهاية في غريب الحديث والأثر: (٢٩٠/٢).
(١٩) البرحاء: شدة الحمى، وقيل: شدة الكرب، وقيل: شدة الحر. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٦/٨).

مثل الجمان [١] من العرق، وهو في اليوم الشات [ي] [٢] من ثقل القول الذي أنزل [٣] عليه!.

قالت: فلما سُري عن رسول الله ﷺ سُري عنه وهو يضحك!

فكان [تـ] [٤] أول كلمة تكلم بها أن قال لي: "أبشري - يا عائشة -! أما الله عز وجل فقد برأك" [٥].

قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه! قالت: فقلت: لا - والله -! لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل؛ هو الذي أنزل براءتي!

قالت: فأنزل الله عز وجل: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم [لا تحسبوه] [٦] الـ عشر آيات كلها؛ فأنزل الله عز وجل هؤلاء العشر الآيات [كّلها في] براءتي.

قالت: فـ[لَـلما أنزل الله هذا في براءتي] [٧] قال أبو بكر [الصديق رضي الله عنه] [٨] - وكان ينفق على مسطح [بن أثاثة] [٩] لقرابته منه وفقره -: والله؛ لا أنفق [على مسطح] [١٠] شيئًا أبدا بعد الذي قال لعائشة [ما قال] [١١]! فأنزل الله عز وجل: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى و الله غفور رحيم [١٢] - قال حبان بن موسى: قال عبد الله بن المبارك هذه أرجى آية في كتاب الله -؛ فقال أبو بكر: [بلى] [١٣] والله؛ إني لأحب أن يغفر الله لي! فرجع إلى مسطح النفقة التي

(١) الجمان: هو اللؤلؤ الصغار، وقيل: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٠١/١).
(٢) مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦). وفي صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١): في يومٍ شات.
(٣) في صحيح البخاري (٤٧٥٠): ينزَل.
(٤) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١).
(٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١): يا عائشة احمدي الله فقد برّأك الله.
(٦) صحيح البخاري (٤٧٥٠).
(٧) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٢٦٦١).
(٨) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٢٦٦١).
(٩) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١).
(١٠) صحيح البخاري (٦٦٧٩، ٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١)، وفي صحيح مسلم: عليه.
(١١) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٤١٤).
(١٢) صحيح البخاري (٤٧٥٠).
(١٣) صحيح البخاري (٦٦٧٩، ٤٧٥٠، ٤١٤١، ٢٦٦١).

كان ينفق عليه [١]، وقال: [والله] [٢]، لا أنزعها منه [٣] أبدًا!

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ [ي] [٤] سأل زينب بنت جحش [٥] زوج النبي ﷺ عن أمري؛ فقال: يا زينب ما ذا علمتِ أو ما رأيت أو ما بلغكِ؟! فقالت: يا رسول الله؛ أحمي سمعي وبصري [٦] والله؛ ما علمت عليها إلا خيرًا! قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني [٧] من أزواج النبي ص فعصمها الله بالورع!

قالت: وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها [٨]، فهلكت فيمن هلك!

قال الزهري [٩]: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

قال عروة: كانت عائشة تكره أن يُسبّ عندها حسان؛ وتقول: فإنه قال:

فإن أبي ووالده وعرضي * * * لعرض محمد منكم وقاء

وزاد أيضًا: قال عروة: قالت عائشة: والله؛ إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول:

سبحان الله! فوالذي نفسي بيده؛ ما كشفت عن كنف [١٠] أنثى قط!

قالت: ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيدًا في سبيل الله.

❁ ❁ ❁

---

(١) في صحيح البخاري (٢٦٦١): فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه.
(٢) صحيح البخاري (٦٦٧٩، ٤١٤١).
(٣) في صحيح البخاري (٦٦٧٩): عنه.
(٤) صحيح البخاري (٢٦٦١).
(٥) زينب بنت جحش بن رياب، أم المؤمنين، وابنة عمة رسول الله ص أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وهي أخت حمنة، من المهاجرات الأول، تزوجها النبي ص سنة ثلاث وقيل سنة خمس، ونزلت بسببها آية الحجاب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، توفيت سنة ٢٠ هـ، وقيل: كانت أول نسائه لحوقًا به. سير أعلام النبلاء (٢١١/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦٦٧/٧).
(٦) أي: أمنعهما من أن أنسب إليهما ما لم يدركاه، ومن العذاب لو كذبت عليهما. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٤٨/١).
(٧) أي: تعاليني وتفاخرني، وهو مفاعلة من السمو، أي: تطاولني عنده ص. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠٥/٢).
(٨) من الحرب. وبالزاي: أيْ تَتَعَصَّب وتَسْعى سَعْي جماعَتِها الَّذِينَ يَتَحَزَّبُون لَهَا. النهاية في غريب (٣٧٧/١).
(٩) في صحيح البخاري (٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).: ابن شهاب.
(١٠) أي: ثوبها الذي يسترها، وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٤/١٧).

المبحث الثاني

أسباب خوض المنافقين في الإفك

إذا كان الخوض في عرض المسلم بغير حق من أكبر المعاصي جرماً، وأعظمها إثماً، والاتصاف به لا يكون إلا لأسباب داخلَت نفس الخائض؛ فكانت حاملاً ودافعاً له على ارتكابه؛ فلا شك في أن الخوض في عرض أفضل الخلق، وأحبهم إلى الله تبارك وتعالى وفي عرض أحب الناس إليه ﷺ (صاحبه الصدّيق أبي بكر، وزوجه الطاهرة عائشة -رضي الله عنها-) هو من أكبر الكبائر وأعظمها، وأن مرتكبه له أسباب خبيثة دفعته إلى الوقوع في هذا المنكر العظيم، وإلا فإن مجرد عِظَم هذا الذنب وشناعة الوقوع فيه من أكبر الدوافع لاجتنابه، ومن ثمّ فإن معرفة هذه الأسباب لها أهمية بالغة للمسلمين عامة وللدعاة خاصة.

ومعرفة تلك الأسباب وتصوّرها تصوّراً صحيحاً تقتضي الوقوف عند نقطتين مهمتين:

الأولى- موقف المجتمع المدني عامة تجاه خبر الإفك:

بالنظر فيما ورد في الكتاب والسنة في حادثة الإفك نجد المجتمع المدني انقسم تجاه خبر الإفك على أربعة أقسام:

القسم الأول: فئة من المؤمنين بادروا بتكذيب شائعة الإفك، وهؤلاء هم خيرة الصحابة وأفضلهم، ومنهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب [1] وأبو أيوب الأنصاري [2] وأم أيوب [1] وأسامة بن زيد، وأم مسطح، وبريرة، وأم أيمن [2] رضي الله عنهم فقد برّؤوا ساحة

(١) أورد ذلك عنهم: النسفي في تفسيره (٣/٢٠٠).

(٢) الصحابي الجليل خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، الخزرجي النجاري البدري، أبو أيوب، السيد الكبير الذي خصه النبي ﷺ بالنزول عليه في بني النجار توفي سنة ٥٠ هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٦٠٤)، سير أعلام النبلاء (٢/٤٠٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٣٤).

أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من الإفك بمجرد سماعه، ووصفوه بالإفك المبين، وسبّحوا الله تعظيمًا أن يقّدر الله هذا الأمر على زوجة نبيه ﷺ.

وهؤلاء هم الممدوحون على ما بادروا به من تكذيب الإفك، فقد كانوا هم الذين فعلوا ما أمر الله به بقوله ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾.

القسم الثاني: وهم أكثر الناس، حموا أسماعهم وألسنتهم فسكتوا، ولم يصدقوا ولم يكذبوا.

القسم الثالث: فئة من المؤمنين خاضوا في الإفك بالأفواه، لا بالقلوب، لشدة مكر المنافقين في إشاعة الإفك، فخاضت الألسن بقول أهل الإفك، على غلبة ظنّهم أنَّ هذا الأمر ليس فيه لائمة، ولا يُعرّض لسخط الله تعالى، ومن هؤلاء: حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش[٣].

وهؤلاء مخطئون في الفعل الذي بدر منهم، مغفورٌ لهم بتوبة الله عليهم وتكفير خطيئتهم بالحد الذي أقيم عليهم، وهم المعنيّون بقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾[٤]، وقد أثبت الله عز وجل لأهل هذا القسم فضائلهم التي عملوها حيث أثبت لمسطح هجرته وإيمانه عندما حلف أبو بكر رضي الله عنه أنه لن ينفق على مسطح رضي، ولن يتصدق عليه وهو من ذوي قرابته، فقال عز وجل: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ

(١) أم أيوب بنت قيس بن عمرو بن امرئ القيس الخزرجية الأنصارية امرأة أبي أيوب الصحابي المشهور. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩٢٥/٤)، أسد الغابة (٢٩١/٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (١٧٤/٨).

(٢) أم أيمن مولاة رسول الله ص وحاضنته، واسمها بركة، أسلمت قديمًا أول الإسلام، وهاجرت إلى الحبشة وإلى المدينة، وبايعت رسول الله ﷺ تزوجها زيد ابن حارثة رضي الله عنه وأنجب منها أسامة ابن زيد رضي الله عنه حِبُّ رسول الله ﷺ، توفيت بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمسة أشهر، وقيل بستة أشهر. انظر: أسد الغابة (٢٩٠/٧)، سير أعلام النبلاء (٢٢٣/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (١٧٩/٨، ١٦٩)

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩٥/١٧، ١٩٦، ٢٠٩).

(٤) سورة النور رقم الآيات (١٥- ١٦)

لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

القسم الرابع- أرباب الإفك الذين اختلقوه ثم كانوا يستوشونه ويذيعونه، وهؤلاء هم المنافقون المرجفون في المدينة، وعلى رأسهم: عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وهو الذي تولى كِبْر الإفك، فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. "عبدالله بن أبي ابن سلول"[٢].

وهذا القسم هو المتوعد باللعنة والعذاب العظيم الذي ذكره المولى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وهم المعنيون بقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

ومن خلال معرفة هذه المواقف الأربعة للمجتمع المدني تجاه خبر الإفك؛ يظهر أن الخائضين في الإفك فئتان: أصحاب القسم الثالث (وهم فئة قليلة جدا من الصحابة)، وأصحاب القسم الرابع (وهم المنافقون)، وكما أن هاتين الفئتين لا تستويان البتة من حيث الأفراد والحقيقة والحكم؛ فهما كذلك لا تستويان البتة من حيث أسبابِ ودوافعِ خوضهما في الإفك.

وهذا التصوّر السابق يقود إلى النقطة الهامة الثانية، وذلك أن تصوّر أسباب خوض المنافقين في الإفك يقتضي أن نتصوّر قبل ذلك:

الثانية- أسباب نشوء النفاق في المدينة النبوية:

---

(١) سورة النور رقم الآيات (٢٢).

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٢/٨) أنَّ الروايات بذلك قد تظاهرت عن عائشة - رضي الله عنها -.

(٣) سورة النور رقم الآيات (١٩).

حين كان النبي ﷺ وصحابته في مكة لم يكن الناس إلا قسمين: مؤمناً ظاهرًا وباطناً وكافرًا ظاهرًا وباطناً، ولما اشتد الأذى على المؤمنين أتباعِ الدعوة الإسلامية يسّر الله لهم مكانًا يلتجئون إليه (وهو المدينة)، فهاجر إليها النبي ﷺ والمؤمنون، وبعد هذه الهجرة العظيمة استمر حال المجتمع المدني – من حيث الجملة– على الوضع الذي كان عليه المجتمع المكي قبل الهجرة: (مؤمنون، وكافرون مظهرون للكفر: إما من عبَدةَ الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام بعد، وإما من اليهود)، وكان كل فريق يبوح بدينه سرًا وعلانية، فعن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما –: أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قَطِيفة[١] فَدْكِية[٢] وأردف[٣] أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر. قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول – وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبي–، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة[٤]، فلما غشيت المجلس عجاجة[٥] الدابة خَمّر[٦] عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلَّم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقًا فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى – يا رسول الله– فاغشُنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك. فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ص يخفضهم حتى سكنوا، ثم

(١) القطيفة: هي كِساء له خمْل، وهو دثار مخمل، جمعها قطائف وقطف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٨١/٢، ٨٤/٤)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥٧/١٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٣١/٨)، (١٢٢/١٠).

(٢) فدكية: نسبة إلى فدك، بلدة معروفة على مرحلتين أو ثلاث من المدينة، كأنها صنعت فيها. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥٧/١٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٣١/٨)، ١٢٢/١٠).

(٣) أردفه: أركَبه خلفَه على الدابة. انظر: لسان العرب (١١٦/٩).

(٤) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس، الأنصاري، الخزرجي، الشاعر المشهور، يكنى أبا محمد، ليس له عقب من السابقين الأولين من الأنصار، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة) ٨٢/٤).

(٥) هي: ما ارتفع من غبار حوافرها الذي تثيره. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥٨/١٢)، هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص١٥٣).

(٦) خمّر أنفه: أي غطاه. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥٨/١٢).

ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي ﷺ : «يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب [١] - يريد عبد الله بن أبي -؟، قال كذا وكذا». قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعفُ عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة [٢] على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق [٣] بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ [٤].

وكان مبدأ ظهور النفاق في المجتمع المدني - وفي التاريخ الإسلامي بعامة- بعد أن أظهر اللهُ دينه على المشركين من أهل مكة في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة، فحين انتصر الجيش المؤمن على جيش الكفر أرسل النبي ﷺ كلاً من عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة -رضي الله عنهما-، فقاما يناديان - كلٌّ على راحلته- يبشران الأنصار بنصر المسلمين على مشركي قريش ويذكران قتلى صناديد قريش، فجعل المؤمنون يستوثقون منهما الخبر لما أشاع المنافقون من تشويش في صحة كلامهما، وهما يؤكدان صدق ما أخبرا به، فلما استبان الأمر بإتيان النبي ﷺ والمؤمنين ومعهم الأسرى والغنائم [٥]؛ قال عبدالله بن أبيّ بن سلول ومن معه من المشركين عبدة الأوثان: هذا أمر قد توجّه [٦]. فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا [٧].

فكان سبب نشوء النفاق في المجتمع المدني اجتماع عاملين هما:

١. أنه صار للمؤمنين في المدينة عِزٌّ وأنصارٌ بعد دخول جمهور أهلها في الإسلام طوعًا واختيارًا.

---

(١) أبو حُبَاب: كنية عبد الله بن أبي، وكناه النبي ﷺ في تلك الحالة لكونه كان مشهورا بها أو لمصلحة التألف. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٣٢/٨).
(٢) البُحيَرة: مدينة الرسول ﷺ وهو تصغير البَحْرة. النهاية في غريب الحديث والأثر (١٠٠/١).
(٣) شرق: أي غصّ، ومعناه: حسد النبي ﷺ وكان ذلك بسبب نفاقه. انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٩٥/١٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٣٢/٨).
(٤) صحيح البخاري (٢٣٠/٨، ٢٣١) رقم (٤٥٦٦).
(٥) انظر: البداية والنهاية (٣٧١/٣).
(٦) توجه: أي ظهر وجهه. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٣٣/٨).
(٧) صحيح البخاري (١٦٦٣/٤).

٢. ظهور الإسلام على أهل الشرك من أهل مكة الذين كانوا أشد وأظهر وأول المناوئين له[١].

فلجأت فئة من أهل الشرك من أهل المدينة إلى إظهار الإسلام وإبطان الكفر؛ فنشأ بذلك النفاق في التاريخ الإسلامي.

ومنذ نشأ النفاق كان أهله أخطر على أهل الإسلام من الكفار المعلنين للكفر، وذلك لعموم الابتلاء بهم، وشدة إفسادهم ومكرهم، وفتنتهم للإسلام وأهله، ولاتفاقهم واجتماعهم على حرب الإسلام، وللتربص والترصد والاستعداد بالكمائن لأي فرصة تحين في أي وقت وأي مكان لإيذاء المؤمنين، ولأن رأس مالهم الخديعة والمكر والكذب، ولسعيهم في تشكيك الناس في دينهم بإلقاء الشبه، واللدادة[٢] خصومتهم مستعينين على ذلك بحلاوة القول ولينه، ولفرحهم بنصر الكفار وهزيمة المسلمين، وحزم عند نصر المسلمين وهزيمة الكفار[٣].

وبتصوّر النقطتين السابقتين؛ يظهر الترابط بين نشأة النفاق وظهور المنافقين في المجتمع المدني وأسباب ذلك وخطورته، وبين كون المنافقين هم الذين كانوا وراء خبر الإفك اختلاقًا وخوضا وترويجًا وإشاعةً ونشرًا.

كما تظهر أيضاً الأسباب المعلَنة والخفية التي دفعت المنافقين إلى الخوض في الإفك، وأنها لا تخرج عن محورين رئيسين هما:

الأول- الأسباب الدينية. الثاني- الأسباب الدنيوية.

وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أولاً - الأسباب الدينية:

---

(١) انظر: الإيمان الأوسط ص (٢٩٢).
(٢) اللدادة: شدة الخصومة. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢١٩/١٦).
(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣٤٧/١- ٣٥٩).

١ - إرادة إسقاط الدين بإسقاط حملته.

من المعلوم أن المنافقين لم يدخلوا في الإسلام رغبةً فيه، وأنهم لما لم يتمكنوا من إظهار كفرهم علانيةً وردّ الدين صراحةً - خوفًا من افتضاح أمرهم وانكشاف دخيلة نفوسهم وتعرضهم للقتل بسبب ذلك-، اندسّوا بين صفوف أهل الإسلام، ولجأوا إلى الحيلة والمكر، وأخفوا تكذيبهم نصوص الكتاب والسنة واستهزاءَهم بها وبأهل الإيمان بها وبغضّهم إياهم وكراهيةَ نصرهم وحبَّ الأذى والهزيمة لهم، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(١).

ويدرك المنافقون أن قوة هذا الدين بين الناس - داخل المجتمع المسلم وخارجه- إنما تكون بقوة الإيمان به التي تملأ نفوس حمَلته، ولذا؛ فإنهم يتصيّدون الفرص ويترصّدون الوقائع لينفثوا سمومهم، فيوجهون سهامهم لحمَلَة الدين ورافعي رايته وحُماة ساحته من أئمة الدين وأهل التقى والعلم - وفي مقدمتهم: نبي الأمة ﷺ وصحابته الكرام -، فيتهمونهم بفظائع الأمور ومستبشعات الأخلاق وذميم الصفات؛ ليتوصّلوا بذلك إلى إسقاط الدين نفسه، كما: قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾(٢).

لقد رأى المنافقون في عهده ﷺ أن أفضل وسيلة لإسقاط الدين هي: إسقاط أعظم حمَلته

(١) سورة آل عمران، الآيات رقم (١١٨- ١٢٠).
(٢) سورة التوبة، الآيتان رقم (٦٥- ٦٦).

وعلى رأسهم النبي ﷺ وذلك من خلال تشويه صورته والقدح في نزاهته بأمكر طريقة يتمكنون منها، فما إنْ تسنّت لهم الفرصة حتى أوقدوا نار الفتنة وافتعلوا الإفك المبين، من خلال رأس النفاق عبدالله بن أبي بن سلول الذي تكلم في عرض النبي ﷺ فأراد بذلك الكيد للإسلام في رمزه، وذلك باتهامه في عرضه الشريف؛ ليسقطه من أعين الناس، فيحصل بمكره هذا على مقصده الأسنى وهو ذهاب الدين واضمحلاله، وذلك أنه إذا كانت النفوس السليمة الأبيّة لا ترضى النقائص - خاصة في الأعراض- ولا تقبلها في آحاد الناس؛ فكيف ترضى بها في أهل الريادة والقيادة؟، فإذا تناقلت الألسن في أوساط المجتمع المدني وقوع الفاحشة في عرض النبي ﷺ الذي اتهمه المنافقون بالإفك في أهله، وصدَّقت ذلك واعتقدته؛ فهذا يعني ضرورةً إسقاط شخص النبي ﷺ وإذا أُسقط شخص النبي ﷺ وهو الذي أتى بهذا الدين من عند الله سبحانه ودعا إليه وجاهد في الله من أجل رفع رايته- أُسقِطت رسالته ونُسِب إلى الكذب فيها وعدم صحتها.

يجلِّي هذا الأمر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١]، "فأخبر تعالى أن النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، فلا تكون خبيثة لطيب، فإن ذلك خلاف الحصر...، وأخبر أن الطيبين للطيبات، فلا يكون الطيب لامرأة خبيثة، فإن ذلك خلاف الحصر؛ إذ قد ذكر أن جميع الخبيثات للخبيثين، فلا تبقى خبيثة لطيب ولا طيب لخبيثة، وأخبر أن جميع الطيبات للطيبين فلا تبقى طيبة لخبيث"[٢]، "فعُلم أن الذي رمي أمهات المؤمنين يعيب بذلك رسوله ﷺ "[٣].

٢- مرض قلوب المنافقين:

---

(١) سورة النور، آية رقم (٢٦).
(٢) مجموع الفتاوى (٣٢٢/١٥).
(٣) المصدر السابق (٣٦٢/١٥).

وصف الله المنافقين بأن في قلوبهم مرضًا فقال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[١] "والمرضُ الذي ذكر الله جل ثناؤه أنّه في اعتقاد قلوبهم...: هو شكُّهم في أمر محمد ﷺ وما جاء به من عند الله، وتحيُّرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنهم كما وصفهم الله ﷻ مُذَبذَبُون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يقال: فلانٌ يمَرِّضُ في هذا الأمر، أي: يُضَعِّف العزمَ ولا يصحِّح الرويَّة فيه"[٢].

و"مرض القلب: خروج عن صحته واعتداله، فإن صحته أن يكون عارفا بالحق محبا له مؤثرا له على غيره، فمرضه إما بالشك فيه وإما بإيثار غيره عليه، فمرض المنافقين مرض شك وريب"[٣] وهذا المرض جعل من ديدنهم وعادتهم: الوقوع فيما حرمه الله ورسوله من الكفر والفساد والإفساد والاستهزاء بالدين وبالمؤمنين وموالاة الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[٤]، ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ﴾[٥] ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[٦].

وهو الذي دفعهم إلى اختلاق هذا الإفك المبين في النبي ﷺ وزوجه الطاهرة عائشة - رضي الله عنها - والخوض فيه وإشاعته، ابتداءً برأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول الذي اختلق الإفك لما رأى صفوان بن المعطل يقدُم بعائشة، ثم أعانه بقية المنافقين على نشره وإذاعته في المجتمع المسلم،

---

(١) سورة البقرة، آية رقم (١٠)
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٨٧/١).
(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص (١٧١).
(٤) سورة المائدة، الآيتان رقم (٥١- ٥٢).
(٥) سورة الأنفال، آية رقم (٤٩).
(٦) سورة الأحزاب، آية رقم (١٢).

وإلا فإن القلب السليم يعلم من منزلة النبي ص عند ربه، ومكانة عائشة عنده وعفتها وطهرها، وأمانة صفوان بن المعطل وصدقه، وغير ذلك من الاعتبارات الصحيحة؛ ما يجعله في كامل الطمأنينة والسكينة والثقة بعدم وقوع ذلك الأمر المشين الذي اختلقه المنافقون وأذاعوه، بل لا يمكن للقلب السليم أن ينقدح فيه ذلك ابتداءً.

٣- التآمر ضد المسلمين والتعاون على معاداتهم:

حين نزل النبي ﷺ إلى المدينة كانت أخلاطًا من يهود ومشركين، وكانت نار الفتنة تؤَجج بين قبيلتي الأوس والخزرج من قبل اليهود مابين الفينة والأخرى، وعندما أظهر الله نور الإيمان بين جنبات المدينة النبوية، فاضمحل على إثره سواد الشرك الذي غطى يثرب سابقًا؛ ثارت في نفوس اليهود والمشركين الضغائن والأحقاد، فكان التواطؤ من المنافقين مع أعداء الإسلام على أي ملة كانت يكمن في التآمر ضد الإسلام، قال تعالى: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾[1]. قال القرطبي [2]: "يعني: لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني: أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة" [3].

وما حصل بالتحديد في حادثة الإفك الذي قالته ألسنتهم وما سبقه ولحقه من أحداث يثبت أن تآمرهم ضد المسلمين كان من أعظم أسباب خوضهم في الإفك، فالتآمر – في أقوالهم وأفعالهم في حادثة الإفك– بيَّنٌ والعداوة بارزة فيما أحدثوه من الإفك وفيما نتج عنه في بعض المواقف من الفتنة التي كادت تثور بين الصحابة ، فحين يتخلخل الصف المسلم وتحدث بينهم الفرقة – كما كاد أن يحصل بين الأوس والخزرج لولا فضل الله ﷻ ثم حكمة النبي ﷺ في تهدئة تلك الفتنة العظيمة– لحدث ما أراده المنافقون من كيدهم الدفين في سويداء النفوس،

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١١٨).
(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، أبو عبد الله، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من كتبه "الجامع لأحكام القرآن"، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط بمصر)، وتوفي فيها سنة ٦٧١ هـ. انظر: الأعلام (٣٢٢/٥).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧٩/٤).

ولقدّموا للمشركين فرصة العمر في إضعاف الإسلام وأهله، هم يحبون ذلك وقد استقر في قلوبهم مودة إتعاب المؤمنين والتضييق عليهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾[١] أي: "تمَنَوْا عَنَتَكم، أي: مشقَتكم وشدةَ ضررِكم"[٢]، وهذا يُبيّن خبث ضمائر نفوسهم وما انطوت عليه من تآمر على الدين وأهله، قال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[٣] يعني: ظهرت العداوة والتكذيب لكم من أفواههم، ويبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم[٤] فهذه أعمالهم فيها - مما يثبت تآمرهم ضد المسلمين- ما "قد لاح على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله"[٥].

ثانيًا- الأسباب الدنيوية:

١ - البغض والحقد والحسد:

بيّن الله سبحانه وتعالى لنبيّه الكريم ﷺ أنَّ حاله - في تبليغ الرسالة وموقف الناس منه ومن دعوته وترصّد عدد من أكابر المدعووين له بالحقد والبغض الذي يتوّلد عنه الأذى والعداوة والمكر- لا يختلف عن حال من سبقه من الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٦]. قال ابن كثير[٧]: "وكما جعلنا في قريتك - يا محمد- أكابر من المجرمين ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله وإلى مخالفتك وعداوتك، كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك، ثم تكون لهم العاقبة "

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١١٨).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧٦/٢).
(٣) سورة آل عمران، آية رقم (١١٨).
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨٠/٤).
(٥) تفسير القرآن العظيم (١٠٨/٢).
(٦) سورة الأنعام، آية رقم (١٢٣).
(٧) إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي الدمشقي الشافعي، أبو الفداء، الإمام، المفسر، المحدث، المؤرخ، من أعلام الشافعية. توفي سنة ٧٧٤هـ، انظر: طبقات الشافعية (٨٥/٣)، الدرر الكامنة (٤٤٥/١)، شذرات الذهب (٣٣١/٦).

.(١)

وفي المجتمع المدني الذي وقعت فيه حادثة الإفك كان من أكابر المجرمين فيه: عبدالله بن أبي بن سلول، الذي كان في يثرب - قبل مقدم النبي ﷺ إليها- كبيرًا مطاعًا شريفًا مقدَّمًا، حتى اتفق أهلها على أن يمّلكوه عليهم، ثم لما أكرم الله عددًا من أعيانها بالإيمان بالنبي ﷺ والدخول في دين الإسلام، ثم هجرة النبي ﷺ وأكابر صحابته إلى المدينة وازدياد عدد المسلمين فيها؛ زال عن عبدالله بن أبيّ كلّ ما كان يجده في مجتمعه من تبجيل وتقديم وترئيس، فقد اجتمع المؤمنون من أهل المدينة - وهم أكثر أهلها- على توحيد الله واتباع الوحي وطاعة الرسول ﷺ والأخوة الدينية التي تزيل الأحقاد وتؤلف القلوب وتوحِّد الصف، وإزاء ذلك أُشرب قلب عبدالله بن أبيّ البغضاءَ والحقدَ الدفين والحسدَ للنبي ﷺ وصار من أشدّ أهل المدينة عداوة له ولدينه، وترصّدت له جوارحه بالمكر والأذى، وكان مما ينفث به البغضَ والحقد والحسد الذي ملئ به قلبه: أنه كان في بداية أمره ينفِّر الناس عن النبي ﷺ وعن دينه، ولكنه لما دخل في الإسلام نفاقًا عظُم خطره واستشرى ضرره بما كان يحيكه من الكيد والمكر في كل فرصة يرى أنها مناسبة له - كما وقع منه في مسير النبي ﷺ وصحابته إلى أحد وغيره من المواقف-، كما أنه كان يمشي في صفوف المسلمين بالتحريض ومقالة السوء ليفرّق الصف والكلمة.

وعند النظر في حادثة الإفك نجد أن الذي اختلق الإفك وتولّى كِبره هو: عبدالله بن أبيّ نفسه، فعندما رأى عدوُّ اللهِ أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - على جمل صفوان بن المعطل رضي الله عنه يقود بها في نحر الظهيرة، أخرج حقده الدفين وبغضه الكامن في صدره، مستغلاً موقفًا لا يشك فيه كل منصف للحق أنه خالٍ وعارٍ من التهمة، ليقول كلمة الإفك، "فقال: من هذه؟، قالوا: عائشة وصفوان،

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٣١/٣).

فقال: فَجَر بها - ورب الكعبة- "[١].

وفي لفظ: "ما برئت منه وما برئ منها"[٢]. وفي لفظ: "والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقودها"[٣]. وصار يقول: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت. ثم أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم لها لشدة عداوته لرسول الله ﷺ "[٤].

فرأى عدوّ الله أنه وجد "متنفسًا، فتنفس من كَربِ النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه" [٥]، بل "كان - لعنه اللهّ تعالى- يجمع الناس عنده ويذكر لهم ما يذكر من (الإفك) "[٦].

فكان من أعظم أسباب خوض عبدالله بن أُبيّ في الإفك:

أ- بغضه لرسول الله ﷺ ومحبته لإيذائه وأن يدنس فراشه! [٧].

ب-"إمعانه في عداوة رسول الله ﷺ وانتهازه الفرص، وطلبه سبيلاً إلى الغميزة "[٨].

٢- التربص والترصد للمؤمنين:

إن ضرر المنافقين المخالطين للمسلمين "المعاشرين لهم، وهم في الباطن على خلاف دينهم، أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم؛ لأن الحرب مع أولئك

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٤/٢٣)، من حديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٠/٩): "فيه إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي؛ وهو كذَّاب" اهـ.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٨/٢٣)، من مرسل سعيد بن جبير - رحمه الله- قال: {والذي تولى كبره} يعني: عظمه {منهم} يعني: القذفة، وهو: ابن أُبيّ رأس المنافقين، هو الذي قال: ما برئت... فذكره. وهو - إضافة إلى أنه مُرسَل- قال الهيثمي فيه في مجمع الزوائد (٧٧/٧): "فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف وقد يُحسَّن حديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح" اهـ، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٤/٨).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧٨/٧) - وعنه: البغوي في تفسيره (٢٣/٦)،، من رواية ابن أبي مُليكة عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت في حديث الإفك: ثم ركبت، وأخذ صفوان بالزمام، فمررنا بملأ من المنافقين، وكانت عادتهم أن ينزلوا منتبذين من الناس، فقال عبدالله بن أُبي رئيسهم: من هذه؟ قالوا: عائشة، قال: والله؛ ما نجت... فذكره.

(٤) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (٦٠٧/٢).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٦٠/٣).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١٦/١٨).

(٧) انظر: شرح رياض الصالحين للشيخ بن عثيمين (١٠/٣).

(٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٢٢١/٣).

ساعة أو أياما ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحًا ومساء، يدلون العدو على عوراتهم، ويتربصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتم، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر، فلهذا قيل: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[١] لا على معنى: أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى: أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوا من الكفار المجاهرين"[٢].

لقد كان من أسباب خوض المنافقين في الإفك: التربص والترصد لأي لائحة تتسنى، أو شبهة تتبدى، يمكن من خلالها الوقيعة في المؤمنين، لكي يثيروا بذلك فتنة تفتك بالمجتمع المؤمن.

وتذكر أحداث السيرة النبوية ما يقرّر ذلك ويدلّ عليه ويبيّنه: وهو ما حصل في غزوة المريسيع [٣] حين كَسَع[٤]: "رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال المهاجري: يا لَلمهاجرين!، وقال الأنصاري: يا للأنصار!، فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟ »، قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ : «دعوها فإنها منتنة». فسمع ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فقال: أوَقد فعلوها؟، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" [٥].

وفي حادثة الإفك: ترصّد المنافقون – وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول– لذلك الموقف النبيل الشريف الذي كان ملؤه الطهر والنقاء، فعندما رأى صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه أمَّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وحيدةً مفقودةً عن الجيش الإسلامي في مكان قَفرٍ موحشٍ، أدّى أمانته على أكمل الوجوه، ثم جاء بزوج النبي ﷺ يقودها على ناقته في نحر الظهيرة حتى أوصلها إلى زوجها ﷺ سالمة آمنة، وإن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يفسِّر عند كل مؤمن إلا على

---

(١) سورة المنافقون، آية رقم (٤).
(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٥٩٦).
(٣) المُرَيْسِيع: ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم. واليوم: جزء من وادي (حورة)، أحد روافد (ستارة)، وستارة وقديد واد واحد، وهو بعيد عن الساحل في الداخل بما يقرب من ثمانين كيلاً عن سيف البحر. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٣٠/٧)، معجم المعالم الجغرافية ص (٢٩٠)، المعالم الأثيرة ص (٢٥١).
(٤) الكسع: ضرب الدبر باليد أو بالرجل. انظر: المصدر السابق (٦٤٩/٨)
(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٤١٧/٥) رقم (٣٣١٥) وقال: حديث حسن صحيح.

أنه شهامة ونبلٌ وكرم أخلاق وكمال عفة، ولكن لما كان الخبيث عبدالله بن أبي يتربص بأي بادرة تلوح في الأفق، ليدس السم الزعاف من خلالها في وسط المجتمع المؤمن؛ قال: فجَرَ بها - ورب الكعبة- "[1]، وقال: "امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها "[2] وهذا ينبئك عما كان عليه رأس النفاق - والمنافقون بعامة- من ترصد للمؤمنين وتربصهم حتى في المواقف النبيلة الشريفة، فكيف بغيرها مما لو تسنّى لهم أن يجدوا فيه نوع شبهة أو موضع طعن وتجريح؟.

٣- طلب الجاه والمنصب:

اجتمعت كلمة أهل يثرب (الأوس والخزرج) على تسويد عبد الله بن أبي وتتويجه بالملك، وهذا من أعظم ما يناله الإنسان من الدنيا، وأعلى ما يمكن أن يطمح إليه من الجاه.

ولكن أراد الله إكرام تلك القبيلتين بالنبي ﷺ ليحتضنوه ويذودوا عن حياض الدين الإسلامي، ولا مردّ لأمره سبحانه، فاجتمع أهل المدينة على الالتفاف حول النبي ص يفدونه بالنفس والنفيس، وعلى نسيان أمر عبد الله بن أبيّ والإعراض عنه وعدم الالتفات إليه.

فرأى عبد الله بن أبيّ أنه قد ضاع عليه ملكه الذي كان على مقربة منه، وفقد جاهه بين أهله وعشيرته، فأورثه ذلك رغبة شديدة في أن يسترد ملكه ويسترجع جاهه، فصار يبذل - في سبيل ذلك- كل ما يمكنه من كيد ومكر للنبي ﷺ وللإسلام وأهله.

يثبت ذلك: أنه لما كان في غزوة بني المصطلق، وكاد أن يفرق الصفَّ المؤمن بإيقاد نار الفتنة بإثارة الحميّة القبليّة، استخدم النبي ﷺ السُّرى[3] ليقطع تلك الفتنة، فسار بالجيش في وقت لم يكن يسير فيه من قبل، "فلقيه أسيد بن الحضير فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال: والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله ﷺ : أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبيّ؟، زعم

---

(١) سبق تخريجه ص (٧٠).

(٢) سبق تخريجه ص (٧٠).

(٣) السُّرى: سير عامة الليل، وقيل: سير الليل كله. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٤٩/١).

أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل. قال: فأنت - يا رسول الله- العزيز وهو الذليل، ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فإنه ليرى أن قد استلبته ملكا"(١).

فهذا التعليل من أسيد بن حضير ﷺ لما فعله عبدالله بن أبيّ يدلّ على ما وقع فيه ابن أبيّ من الافتتان الشديد بالدنيا من خلال هواه للجاه والسلطان، فكانت الدنيا (الجاه والمنصب) غاية مراده ومنتهى مرامه، وذلك كان يدفعه لارتكاب تلك الأفعال المنكرة التي كانت تصدر منه بين الفينة والأخرى.

وهذا السبب نفسه كان من أعظم أسباب موقفه المشين في حادثة الإفك افتراءً وخوضًا، فافتراؤه الإفك في عائشة - ﵂ - هو في حقيقته افتراء في حق النبي ﷺ الذي يرى (ابن أبيّ) أنه قد سلبه ملكه وجاهه، فكان يرى أنه بإساءته لسمعة النبي ﷺ بين صحابته وزعزعته لمكانته في قلوبهم سينفضّون عنه أو لا يكون نظرهم له إجلالاً وإكبارًا لمكانته كما كان من ذي قبل، فتكون لديه الفرصة سانحة للعودة إلى جاهه في قومه وملكه عليهم.

٤- الفشل الذريع في الحرب الميدانيّة العلَنيّة والخفيّة:

منذ أن بدأ النفاق في المدينة وأهله في كمد وغيظ من عزّ المسلمين وقوتهم ومنعتهم، فهم لذلك لا يجدون سبيلاً إلى قتالهم ظاهرًا وعداوتهم علَنًا، فكان تنفيسهم عن كمدهم وغيظهم من خلال طريقين:

أولهما- محاربة المسلمين سرًا من خلال موالاة الكافرين من اليهود والمشركين أولها- محاربة المسلمين سرا من خلال موالاة الكافرين من اليهود والمشركين ومعاونتهم على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ

(١) تفسير القرآن العظيم (١٢٨/٨).

نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٢]، وقد فشلوا في ذلك فشلاً ذريعًا، حيث كان النصر دائما لأهل الإسلام على أعوان المنافقين.

وثانيهما- الكيد والمكر بالأراجيف والأقاويل الزائفة والإشاعات الكاذبة.

وقد كانت هذه الطريقة الثانية - التي ينفس بها المنافقون عن غيظهم من فشلهم في حرب المسلمين ميدانيا- من أسباب خوضهم في الإفك، فإن "من طبيعة اللئام أنهم إذا رأوا محاسن غيرهم ومساوئ أنفسهم واضحة، وعلموا أنَّ محاسنه هي السر في تقدمه ورقيه وأنَّ مساوئهم ومواضع الضعف والانحلال فيهم هي التي تضع من شأنهم وتخسرهم المعركة؛ يأخذهم الهم بُّأن يخلقوا فيه - بأي حيلة من الحيل- ما في أنفسهم من المساوئ ومواضع الضعف والفوضى، أو يرموه بما ليس فيه ويدنسوا ذيله ويشوهوا سمعته حتى لا ترى الدنيا محاسنه بدون عيب على الأقل. فهذه العقلية الدنيئة هي التي حولت مساعي الكفار وأعداء الإسلام في هذه المرحلة من الأعمال الحربية الظاهرة إلى الحملات الرذيلة وإحداث الفتن في داخل نظام المسلمين ومجتمعهم خفيّة" [٣]

٥- التقليد المذموم للكبراء:

لئن كان رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ هو الذي تولى كبر الإفك يستحكيه ويستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه، فقد كان إخوانه في الكفر من المنافقين على شاكلته في بغض النبي ﷺ وصحابته وحبهم شياع الفاحشة في المؤمنين - وإن لم يكونوا على درجة واحدة في ذلك-،

(١) سورة النساء، آية رقم (١٤١).
(٢) سورة الحشر، آية رقم (١١).
(٣) تفسير سورة النور ص (١٢٠).

فجاء خوضهم في الإفك تقليدًا لكبيرهم وسيّدهم ومشاكلةً لأخلاقه الفاسدة وصفاته الذميمة وموافقةً لمبادئه الرذيلة وتقربا منهم بذلك إليه، فأطاعوه ومضوا في نشر قالته السيئة في أوساط المجتمع المؤمن، فكانوا عونًا له على الشر[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٦٠/٦)،، زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٦٠/٣).

المبحث الثالث

أهداف المنافقين في قصة الإفك

من المعلوم أن المنافقين في عهد النبي ﷺ - منذ أن رأوا قوة المسلمين وانتصارهم في غزوة بدر الكبرى[1] لم يدخلوا الإسلام عن إيمان ورغبة فيه، بل كان لهم من وراء ذلك أهداف سيئة ومآرب خبيثة، يجمعها: محاربة الإسلام وأهله من داخل صفوفهم، ويتفرع عن هذا الهدف أهداف أخرى يبرز بعضها في موقف، ويبرز بعضها الآخر في مواقف أخرى، إلا أننا من خلال حادثة الإفك يمكن أن نرى أن أهم أهداف المنافقين - إن لم تكن كلها- قد تجلَّت في هذا الخطب الجلل الذي عصف بأهل الإسلام - في ذلك المجتمع- عامة.

ومن خلال بيان أهداف المنافقين في الإفك سيُلحَظ أنها واضحةٌ جليّة لا َلبس فيها، في عصر النبيﷺ وفي كل عصر وجيلٍ بعده، وتلك الأهداف هي:

أولاً- إيذاء النبي ﷺ في عرضه الشريف:

بعث الله نبيّه محمد ﷺ بالإسلام، وجَعلَ على يديه تبليغ الدين ونصره وجهاد الكافرين باللسان والسنان ودحرهم؛ ولذلك كان من الطرق التي ينفِّس بها أعداء الله عن حقدهم على النبي ﷺ ومن الأهداف التي يسعَون إليها: إيذاؤه ﷺ في نفسه، وهذا الإيذاء قد يقع على الجسد - كما كان يفعله المشركون في مكة-، وقد يقع على النفس بالقدح والطعن في العرض - كما هو الحال هنا في حادثة الإفك، وهو المراد بالحديث هنا-.

---

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، بين بدر والمدينة سبعة برد. انظر: معجم ما استعجم (٢٣١/١)، معجم البلدان (٣٥٧/١). واليوم هي بلدة كبيرة عامرة بأسفل وادي الصفراء تبعد عن المدينة (١٥٥) كيلاً. معجم المعالم الجغرافية ص (٤١- ٤٢)، المعالم الاثيرة ص (٤٤- ٤٦).

وقد بيَن الله في كتابه أنواعًا من الأذى التي كان يتعرض لها النبي ﷺ في أثناء دعوته، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[١]، "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا كفيناك المستهزئين يا محمد، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك"[٢]، كما توعّد سبحانه من يتعرض لنبيه ﷺ بالإيذاء فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

وحين نتأمل في حادثة الإفك واختلاق قالة السوء من أهل النفاق نجد أن من أهم أهدافهم فيها: إيذاء النبي ﷺ في نفسه، وذلك من خلال اتهامه في عرضه الشريف، والمتمثل في الفرية والبهتان على زوجه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، وهذا مما بيّنه أهل العلم وقرروه ومن ذلك:

١- قول شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]: "ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان: أن يكذب على امرأته رجل ويقول: إنها بغي، ويجعل الزوج زوج قحبة[٥]، فإن هذا م أعظم ما يشتم به الناس بعضهم بعضا، حتى أنهم يقولون - في المبالغة-: شتمه بالزاي والقاف؛ مبالغة في شتمه هذا"[٦].

٢- وقوله أيضًا: "كان المنافقون يقصدون بالكلام فيها: الطعن في الرسول ﷺ، ولو جاز التزوج ببغي لقال: هذا لا حرج علي فيه، كما كان النساء أحيانا يؤذينه حتى يهجرهن، فليس ذنوب المرأة طعنًا؛ بخلاف بغائها، فإنه طعن فيه عند الناس قاطبة، ليس أحد يدفع الذم عمن تزوج بمن يعلم أنها بغية مقيمة على البغاء، ولهذا توسل المنافقون إلى

---

(١) سورة الحجر، آية رقم (٩٥).
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤٥/١٤).
(٣) سورة التوبة، آية رقم (٦١).
(٤) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحراني، أبو العباس، المشهور بابن تيمية، تقي الدين، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، الإمام العلم، ناصر السنة، وقامع البدعة، ذاع صيته وعم الآفاق ذكره، توفي سنة ٧٢٨ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٥٦/١٤)، العقود الدرية في مناقب ابن تيمية.
(٥) هي: الفاجرة، وقيل للبغي قحبة لأنها كانت في الجاهلية تُؤذِن طُلاّبَها بُقحَابها وهو سعالها. انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢١/٣)، القاموس المحيط ص (١٥٧)، تاج العروس من جواهر القاموس (٥١٨/٣)، لسان العرب (٦٦١/١).
(٦) منهاج السنة النبوية (٣٤٥/٤).

الطعنحتى أنزل الله براءتها من السماء"[١].

٣- والمنافقون إنما قصدوا بالإفك أذيةَ النبي ﷺ، قال السبكي[٢]: "الأذى على قسمين: أحدهما- يكون فاعله قاصدا لأذى النبي ﷺ، ولا شك أن هذا يقتضي القتل، وهذا كأذى عبدالله بن أبي في قصة الإفك.

والآخر- أن لا يكون فاعله قاصدا لأذى النبي ﷺ، مثل كلام مسطح وحمنة في الإفك، فهذا لا يقتضي قتلا"[٣].

"وقد أسقط المجرمون من أعداء الله من نفسياتهم الهابطة في هذا الخبر الكاذب، ومن تصورهم المريض على المؤمنين الأبرار الأطهار؛ ما يستحيل أن يقع مطلقًا، وغاب عنهم أن من عصمة الرسول ﷺ أنْ يعصم في عرضه وشرفه وأهله؛ لأن هذا من مكملات التبليغ والأهلية للرسالة؛ إذ إن أي طعن أو قدح في هذا الجانب مخل بشخصيّة الداعية، ومعرض له للجرح الاجتماعي والنبذ. وحاشا لله أن يدور من حول البيت النبوي مثل هذه الريِّب، ولكنها نفوس المنافقين المريضة، المملوءة غيظًا وحنقًا على الدين، وجدت في أسلوب الإشاعة الرخيص وسيلة لتوهين قوة الصف الإسلامي وزعزعته"[٤].

ثانيًا- تشويه سمعة النبي ﷺ في نفوس أتباعه:

دأب أعداء الله من أهل الكفر على مرّ التاريخ على الوقيعة في رسل الله والاستهزاء بهم بهدف تشويه سمعتهم في نفوس أتباعهم المؤمنين بنبوتهم وبما أرسلهم الله به؛ لعلمهم بخطورة ذلك وقوة فتكه؛ فإن من أهم أركان الإيمان بالرسل: الإيمان الجازم المطلق بعلو منزلتهم وشرفهم

(١) الفتاوى الكبرى (١٨٢/٣).
(٢) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام، السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين، شيخ الشافعية في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات، ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر)، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام، وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـ، واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها. الأعلام (٣٠٢/٤).
(٣) فتاوى السبكي (٥٩١/٢).
(٤) الإشاعة ص (٤٥).

ودياناتهم، وتشويهُ ذلك في نفوس أتباع الرسل والأنبياء يؤدي إلى انعدام الثقة بهم، وضعف أو اضمحلال الإيمان بما جاءوا به عن الله تعالى، وهذا هو الهدف الأسمى لأهل النفاق والكفر.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك لنبيّه محمد ﷺ فقال: ﴿ وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[١] فـ"هذه تسلية لرسوله محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة، في الدنيا والآخرة[٢]"، وبيّن سبحانه في آيات أخرى كيفية استهزائهم[٣]، فمن استهزائهم بنوح: ما ذكره الله عنهم فقال: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[٤]، ومن استهزائهم بهود ما ذكره الله عنهم من قولهم: ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾[٥]، ومن استهزائهم بصالح: قولهم فيما ذكر الله عنهم: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٦].

وسار المنافقون في عهده ﷺ على طريق إخوانهم من الكفرة، فعمدوا إلى أساليب ماكرة؛ لتحقيق ذلك الهدف نفسه، ومن ذلك: ما فعلوه في قصة الإفك، فقد كان من أهدافهم الرئيسة في ذلك: تشويه سمعة النبي ﷺ لدى أتباعه من الصحابة ؛ فإنه لا شك في أن "فجور الزوجة وصمة في الزوج تنفر عنه القلوب وتمنع عن اتباعه النفوس"[٧].

قال ابن القيم: "فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم، هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها، فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها؟، لا نصيحة منهم ولكن طاعة

(١) سورة الأنعام، آية رقم (١٠)
(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٤٢/٣).
(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢١٨/٢).
(٤) سورة هود، آية رقم (٣٨).
(٥) سورة هود، آية رقم (٥٤)
(٦) سورة الأعراف، آية رقم (٧٧).
(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٠/١٨)

لإبليس ونيابة عنه، كل ذلك لينفر الناس عنه وعن الانتفاع به"[١].

ثالثًا- ارتياب المؤمنين في عرض النبي ﷺ:

مما تتبيّن به خطورة أهل النفاق على أهل الإسلام: أنهم قد يسعون - من خلال مكيدة واحدة- إلى تحقيق أكثر من هدف في الوقت نفسه، وقد تكون أهدافهم في ذلك على دركات بعضها أشدّ من بعض، حيث يسعون إلى أنه إذا لم يتحقق الهدف الأعلى تحقق ما هو دونه - كما هو الحال هنا في قصة الإفك-، وهذا الهدف قد أخبرنا الله في كتابه أنه من أهم أهداف اليهود والنصارى - أيضًا- في حرّم للإسلام فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[٢] فأخبر سبحانه في هذه الآية أن هذا هو تمام ما يأملونه ويرضون عنه، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾[٣]، فأخبر سبحانه أنهم يودّون لو يردون أهل الإسلام عن الإيمان إلى أي ملل الكفر.

وبيان ذلك: أن تشويه المنافقين لسمعة النبي ﷺ بين أتباعه هو من أهم أهدافهم في قصة الإفك - كما تقدم-، لكن لأنهم يعلمون أنهم قد لا يصلون إلى هذا الهدف الأعلى جعلوا دونه هدفًا، وهو: أن يوقعوا الريبة والشك في قلوب المؤمنين تجاه عرض النبي ﷺ من خلال زوجه عائشة - رضي الله عنها -، وذلك ظاهر من خلال العبارات السيئة التي استخدمها عبد الله بن أبيّ، حيث دسّ فيها عددا من الشُّبَه التي تعلَق في القلب وتؤّثر فيه وتوقع فيه الشك والريبة على أقل الأحوال، ومن ذلك: قوله: "امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت"[٤]، هذا مع أن المتأمل يرى أن "الذي وقع لم يكن ريبة، وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، لو كان

(١) بدائع الفوائد (٤٨٤/٢).
(٢) سورة البقرة، آية رقم (١٢٠).
(٣) سورة البقرة، آية رقم (١٠٩).
(٤) سبق تخريجه.

هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هكذا جهرة، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان يكون هذا - لو قدر- خفية مستورا، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت، والقول الزور، والرعونة الفاحشة الفاجرة، والصفقة الخاسرة" [١]، "فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرم من اصطفاه الله لرسالته وبعثه إلى كافة الخلق ليرشدهم إلى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا! " [٢].

ولا شك أنَّ فتنة الإفك كانت خطيرة على المجتمع المدني المؤمن، وكان بسببها وقوع بعض من الصحابة ﷺ في الإفك، مع أنَّ خوضهم كان مجرد كلام بألسنتهم دون ضغينة في القلب، كما بيّن الله سبحانه وتعالى ذلك فقال: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [٣]. "فَوَجْهُ ذكر ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾- مَعَ أن القول لا يكون بغير الأفواه-: أنه أريد التمهيد لقوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، أي: هو قول غير موافق لما في العلم، ولكنّه عن مجرد تصور؛ لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول، فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه" [٤].

ومما يُستشهَد به في هذا المقام - إضافة إلى ما تقدم- ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [٥]. فـ"هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة - رضي الله عنها - حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيّئ، وما ذكر من شأن الإفك فقال تعالى: ﴿ لَوْلا ﴾يعني: هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: ذلك الكلام الذي رميت به أم المؤمنين - رضي الله عنها -﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً﴾ أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٧/٦).
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٢/١٨).
(٣) سورة النور، آية رقم (١٥)
(٤) التحرير والتنوير (١٧٨/١٨).
(٥) سورة النور، آية رقم (١٢).

الأولى والأحرى" [١].

٢- موقف أبي أيوب الأنصاري ﷺ مع زوجه أم أيوب - ﷺ -، وهو: أن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري ﷺ قالت له امرأته أم أيوب - ﷺ -: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة - ﷺ - ، قال: نعم، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟، قالت: لا - والله- ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك.

فتلك الآية الكريمة، وهذا الموقف بين هذين الصحابيين الجليلين؛ يظهِران ما أحدثه المنافقون من الريبة في صفوف المسلمين تجاه عرض النبي ص حتى إن الله عاتب أهل الإيمان على عدم مبادرتهم إلى إنكار الإفك، كما فعل أبو أيوب الأنصاري وزوجه -ﷺ -.

رابعًا- صدّ الناس عن الخير الذي أتى به النبي ﷺ :

عاش النبي ﷺ بين أظهر المشركين أربعين سنة قبل اصطفاء الله إياه بالرسالة، فما رأوا منه إلا الأخلاق الحميدة، فلما أمره الله أن يصدع بالدعوة إلى توحيده ﷻ "صعد الصفَا فهتف: يا صباحاه! [٢]، فقالوا: من هذا؟، فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أنَّ خيلاً تخرج مِن سَفْح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ؟، قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد... »[٣]. فبدأ المشركون بعد إعلان كلمة التوحيد والدعوة إليها يُجْرونَ على النبي ﷺ سيلاً من التهم فقالوا عنه إنّه: ساحر، وكاهن، وكذاب، ويعلمه بشر، كل ذلك لوأد دعوته بصد الناس عنها.

وهذا الهدف كان من أهداف اليهود -أي ضًا- في عهده ﷺ ، لكنهم استخدموه في الجانب الآخر، وهو رد من آمن بالنبي ﷺ عن الإسلام، كما ذكره الله عنهم في قوله: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٧/٦).
(٢) يا صباحاه: يعني: ينذر قومه. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٠٣/٨).
(٣) أخرجه البخاري (١٩٧/٦)، رقم (٤٩٧١).

أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١]، فـ"هذه مكيدة أرادوها؛ ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيضة وعيب في دين المسلمين" [٢].

ولا شك أن من أعظم أهداف ابن أبيّ - لعنه الله- في الإفك الذي اختلقه: حصول الأمرين السابقين كليهما:

١- صرف الناس عن الخير العظيم الذي جاء به محمد ﷺ (دين الإسلام).

٢- ردة المؤمنين عن الإسلام. وهذا - مع ظهوره- يدلّ عليه ويقرّره جميع ما تقدم ذكره في هذا المبحث، فالنيل من عرض النبي ﷺ في أهل بيته، وتشويه سمعته بين أتباعه، وإيقاع الريبة والشك في قلوبهم تجاه عرض نبيهم ﷺ كل ذلك له نتيجتان، وهما:

١- أن من أراد الدخول في الإسلام فإنما يدخل فيه لما يجده من كمال التوحيد والتشريع والأخلاق، وما يتميز به أهله من الشرف والنزاهة والطهر ظاهرًا وباطنًا، فإذا قيل له: إن زوج نبيهم بغيّ - وحاشاها- كان ذلك كافيا في انصرافه عن الإسلام؛ لأنه إذا كان أهل نبي المسلمين كذلك - وحاشاهم- فكيف ببقية المسلمين؟!.

٢- وأن من كان من أهل الإسلام ولم يتمكن الإسلام في قلبه فقد يقع في قلبه تصديق ما قاله أهل النفاق من الإفك في عرض النبي ﷺ فيفقد الثقة في عصمة الله لنبيه ﷺ وفيما يبلغه النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى، ويدفعه ذلك إلى الارتداد عن الدين.

خامسًا- التشكيك في أخلاق الإسلام:

كان المجتمع الجاهلي يزخر بأخلاق سيئة لا ترضاها الفِطَر المستقيمة ولا العقول السليمة،

(١) سورة آل عمران، آية رقم (٧٢).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٩/٢).

ومن ذلك: وأد البنات، وأكل أموال الناس بالباطل كالربا والميسر، وشرب الخمر، وقطع الأرحام، واحتقار المرأة، والخيانة، والكذب، والغدر، وغير ذلك، ومما يتعلق بالأعراض: طواف بعض الرجال والنساء بالبيت عراة، وانتشار الفاحشة التي كان لها دُور ورُوّاد وكانت مصدرًا من مصادر الاكتساب، وسبي النساء الأحرار بالغزو عدوانًا وظلمًا.

فبعث الله نبيه محمدًا ﷺ بهذا الدين العظيم الذي أزال جميع المظاهر والأخلاق الرديئة، وهدى الناس أفرادًا وجماعاتٍ إلى أحسن الأخلاق وأطيبها وأزكاها، ومنها: الطهر والعفاف والنقاء، وكان ذلك من أعظم أسباب دخول بعض أهل الشرك والكفر في الإسلام عن قناعة ورغبة.

ولذا؛ كان من الأهداف الهامة لأعداء الإسلام من الكفرة والمشركين والمنافقين: إسقاط محاسنه، ونقد مناقبه، وتشويه مزاياه، وإبرازها على نقيض ما هي عليه من الحُسن والطِّيب، كما قال تعالى عن قوم نوح: ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[1]، فهذا الاعتراض من الكافرين على نوح عليه السلام مكابرة وعناد ومكرٌ منهم، بل هو دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فإنهم أتوا إلى بعض محاسن دعوة نوح عليه السلام فتعرّضوا لها بالنقد والإساءة، فإنه ليس بعارٍ على الحق رذالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف وأهل العقول ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء، فهم الذين اتبعوا كل شيطان مريد، واتخذوا آلهة من الحجر والشجر، يتقربون إليها ويسجدون لها، فهل ترى أرذل من هؤلاء وأخس؟، وكذلك دعواهم أن أتباع نوح عليه السلام إنما اتبعوه من غير تفكر وروية، يعنون بذلك: أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم،

(١) سورة هود، آية رقم (٢٧).

والحق: أن الحق المبين تدعو إليه بدائه العقول، وبمجرد ما يصل إلى أولي الألباب يعرفونه ويتحققونه، لا كالأمور الخفية التي تحتاج إلى تأمل، وفكر طويل[١].

وهذا هو عين ما أراده المنافقون من إفكهم في النبي ﷺ وزوجه عائشة - رضي الله عنها -، فإن من أهدافهم في ذلك: التشكيك في الأخلاق التي جاء بها الإسلام أو أقرّها، ومنها:

١-**الصدق**: وذلك أن الطعن في عائشة - رضي الله عنها - وصفوان بن المعطل رضي الله عنه بالإفك فيه تكذيب لهما من كونهما ما أتيا إلى الجيش في نحر الظهيرة إلا بعدما وجد صفوانُ أمّ المؤمنين وحيدة متخلِّفةً عن الجيش.

٢-**الأمانة**: وذلك من خلال الطعن في أمانة صفوان بن المعطل رضي الله عنه واتهامه بخيانة النبي ﷺ في زوجه وأهله.

٣-**إعانة المحتاج**: فإن الإفك في عائشة - رضي الله عنها - وصفوان بن المعطل رضي الله عنه فيه مدعاة إلى عدم إعانة من كان في حاجة إلى المعونة - خاصة في مثل هذا الموقف الذي كانت فيه عائشة رضي الله عنها -؛ خشيةً من الطعن في العرض بسبب ذلك كما وقع من المنافقين تجاه صفوان بن المعطل - رضي الله عنه.

٤-**الوفاء وحفظ الحقوق**: فإن الإفك في حق عائشة - رضي الله عنها - يتضمن رميها بعدم الوفاء لزوجها وحفظ حقه عليها، وكذلك رمي صفوان بن المعطل رضي الله عنه بالإفك فيه طعنٌ له بعدم الوفاء للنبي ﷺ وحفظ حقه في أهله.

٥-**حسن الظن بالمؤمن**: فإن المجتمع المدني لم يكن يعرف عائشة - رضي الله عنها - وصفوان بن المعطل رضي الله عنه إلا بالإيمان والخير والخلق، ومجيئهما إلى الجيش بتلك الحال لم يكن أحدٌ ليحمله إلا على حسن الظن ما، وأنه ما وقع منهما ذلك إلا لسبب يقتضيه، دون أن يكون

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣١٦/٤)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٣٨٠).

في الأمر أي ريبة، لكن المنافقين أرادوا الإخلال بهذا الخلق الرفيع بين المسلمين، من خلال إساءة الظن في عائشة - رضي الله عنها - وصفوان بن المعطل رضي الله عنه ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾(١).

٦- **دفع الغيبة عن المؤمن**: فإن من مظاهر الأخوة الإيمانية أن لا يذكر بعضهم بعضًا في غيبتهم بما يكرهون، والمنافقون أرادوا إفساد ذلك بنشر مقالة السوء بين المسلمين الذين صار بعضهم يتناقلها دون دفاعٍ عن عرض أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وصفوان بن المعطل رضي الله عنه ، ولذلك قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

سادسًا- إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا:

إنَّ من أهم ما يقوم عليه المجتمع المسلم، ويكون من أسباب شرفه وعلو شأنه وارتقائه بين الأمم: تمسك أفراده بالأخلاق الحميدة الموافقة للعقل والفطرة والدين.

ومن أهم تلك الأخلاق الحميدة: ما يكون منها متعلقًا بالأعراض كالحياء والشرف والعفة، فبمحافظة المجتمع على هذه الأخلاق يحفظ الله له قوته وتماسكه وترابطه وأمنه ودينه، وقد عُني الإسلام بهذا الجانب أيّما عناية، فجاء الأمر بغض البصر، وسؤال المرأة المتاع من وراء حجاب، وعدم خضوع المرأة بالقول للرجال الأجانب، وخروجها من بيتها متحجبة محتشمة، وشرع الله أعظم العقوبات لمنتهكي الأعراض من أصحاب الزنا واللواط.

وفي المقابل: نجد أنه ما من أمة من الأمم تخلّت عن جانب العفة والحياء والشرف إلا انتشرت فيها الأمراض وكرهها الناس من أصحاب الفطر السليمة وكان ذلك من أسباب ذهاب

(١) سورة النور، آية رقم (١٢)
(٢) سورة النور، الآيتان رقم (١٥- ١٦).

دينها وأمنها وقوتها، يدلّ على ذلك: ما قصَّه النبي ﷺ من أحوال بني إسرائيل التي كانت من أسباب ذهاب دينهم وأمنهم، ومن ذلك: قوله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن الله تعالى أعطى بني إسرائيل ومكنهم وخولهم، حتى عمدت امرأة قصيرة فاتخذت قالبا من خشب، ثم مشت إلى جنب امرأة طويلة، واتخذت خاتما وجعلت له غلقا وطبقا وحشته مسكا»، وفي رواية: «كان في بني إسرائيل امرأة قصيرة فصنعت رجلين من خشب فكانت تسير بين امرأتين قصيرتين واتخذت خاتما من ذهب وحشت تحت فصه أطيب الطيب المسك فكانت إذا مرت بالمجلس حركته فنفخ ريحه»[(١)]، وأصرح منه: الرواية الأخرى: «فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[(٢)].

لذلك؛ فقد كان المنافقون في المجتمع المدني حريصين أشدَّ الحرص على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، فقد كان من صفاتهم المتأصِّلة في نفوسهم "السرور بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك عنهم، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريما من الزنا وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة"[(٣)] "ولقد كان أولئك الأعداء في موقف المتربص المنتظر، يتصيدون المناسبات، ويتحينون الأحايين الملائمة لبث حقدهم الدفين على الإسلام ورسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام-، وكلما وقعوا على خبر سيء أذاعوه ونشروه وأشاعوه...، وإذا لم يقعوا على بغيتهم لفقوا خبرًا، قلبوا الحقيقة، أو فسروها على هواهم، وكما يحلوا لهم وتملي شياطينهم"[(٤)].

وكان من أبرز وسائلهم للوصول إلى ذلك الهدف: الإفك الذي اختلقوه في حق أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وصفوان بن المعطل رضي الله عنه ولا أدلَّ على ذلك من كتاب الله تعالى، وذلك في قوله

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/٤٠)، وابن حبان في صحيحه (١٢/٤٠٥)،، وابن الجعد في مسنده (١٥٦٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٤٨٥) رقم (٤٨٦).
(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٠٩٨)، (٢٧٤٢).
(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/١١٣).
(٤) الإشاعة، ص (٤٣).

سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[١] فتضمنت هذه الآية الكريمة عدة دلائل وفوائد في هدف المنافقين من الإفك وطريقتهم في الوصول إلى ذلك:

١- أن من أهداف المنافقين من الإفك: انتشار الفاحشة في الذين آمنوا، وليس مجرد الطعن في أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وصفوان بن المعطل رضي الله عنه ، وذلك: أن "معنى الإشاعة: الانتشار، يقال: "في هذا العقار سهم شائع": إذا كان في الجميع ولم يكن منفصلا، و"شاع الحديث": إذا ظهر في العامة"[٢].

٢- أن الذين اختلقوا الإفك من المنافقين، وتجرؤوا "على رمي بيت النبوة الكريم، إنما يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المسلمة بالخير والعفة، وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها، وبذلك تشيع الفاحشة في النفوس، ثم تشيع بعد ذلك في الواقع"[٣].

٣- أن "هذا ذمٌّ لمن يحب ذلك، وذلك يكون بالقلب فقط، ويكون مع ذلك باللسان والجوارح، وهو ذم لمن يتكلم بالفاحشة أو يخبر بها محبة لوقوعها في المؤمنين: إما حسدًا أو بغضًا وإما محبة للفاحشة وإرادة لها، وكلاهما محبة للفاحشة وبغضًا للذين آمنوا، فكل من أحب فعلها ذكرها"[٤].

٤- "أن من أحب ذلك فقد شارك في هذا الذم كما شارك فيه من فعله ومن لم ينكره، وليعلم أن أهل الإفك كما عليهم العقوبة فيما أظهروه، فكذلك يستحقون العقاب بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين"[٥] وأن "على الإنسان أن يبغض ما أبغضه الله من فعل

---

(١) سورة النور، آية رقم (١٩).
(٢) مفاتيح الغيب (٣٤٧/٢٣).
(٣) أيسر التفاسير (٢٦٩٢/١).
(٤) مجموع الفتاوى (٣٣٢/١٥).
(٥) مفاتيح الغيب (٣٤٧/٢٣).

الفاحشة والقذف بها وإشاعتها في الذين آمنوا، ومن رضي عملَ قوم حشر معهم، كما حشرت امرأة لوط معهم ولم تكن تعمل فاحشة اللواط، فإن ذلك لا يقع من المرأة، لكنها لما رضيت فعلهم عمَّه العذاب معهم" [١].

سابعًا- إيغار صدور المؤمنين، وإثارة العداوة بينهم، وإيجاد التنازع في صفوفهم، والتفريق بينهم، وزعزعة أمنهم:

أعظم ما كانت تتميز به الجماعة المؤمنة في عهد النبي ص: الاجتماع على اتباع الكتاب وطاعة الرسول ﷺ ومِنْ نتائجه، التآلف والترابط والتراحم، وكان ذلك أهم سبب في قوتها وعزتها ومنعتها، وبين الله تعالى تلك النتائج التي امتن بها عليهم فقال: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [٢]، ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣]، وكان من حكمة النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة أنه آخى بين المهاجرين والأنصار، فأطفأ بتلك الخطوة الرشيدة نار العصبية القبلية والحميّة الجاهلية في مهدها.

والإسلام يحرص في تشريعه الحكيم على وحدة الكلمة والصف؛ لما في ذلك من مصلحة عظيمة لأمن المجتمع المؤمن بين أفراده أنفسهم ومن فتك أعدائه به، وهذا ما بيّنه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾ [٤]، أي: "وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله" [٥]. ويؤكد الأمر الإلهي تبيينُ النبي ﷺ حين قال: «إنّه ستكون هناتٌ وهناتٌ [١]،

(١) مجموع الفتاوى (٣٤٤/١٥).
(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٠٣).
(٣) سورة الأنفال، الآيتان رقم (٦٢- ٦٣).
(٤) سورة آل عمران، آية رقم (١٠٣).
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦٤٣/٥).

فمن أراد أنْ يُفَرِّق أمر هذه الأمَّة وهي جميعٌ فاضربوه بالسيف كائنا من كان»[٢].

فهذه النصوص تبيّن بجلاء خطورة الإخلال بالنظام العام والعبث بأمن المجتمع، كما بيّن النص النبوي الحزم في عقوبة العابث بأمن المجتمع المؤمن.

وقد شَرِق عدوَّ الله عبدالله بن أبي بن سلول بما رأى من ود وحب بين المؤمنين، وكيف أزال الله بنبيه تلك الحرب الضروس المتأججة سنين بين قبيلتي الأوس والخزرج، والتي حصدت أرواح كبارهم، وزاد في حقده جمع كلمة الأوس والخزرج تحت راية التوحيد، فسلك عدو الله ومن معه من المنافقين كلَّ ما يرون أنه يمكّنهم من إزالة تلك الأخوة، وإبدال الاختلاف والضغينة والفرقة بها، ومن ذلك: مسلك إيقاد الحمية القبلية، والنعرات الجاهلية؛ للسعي في التفرقة بين المؤمنين، فلما أثار الفتنة في غزوة بني المصطلق بقوله الأَفِن: "والله ما مثلنا ومَثَل محمد إلا كما قال القائل: "سمّن كلبك يأكلك"، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذلّ".

تعامل النبي ﷺ مع فعل عدو الله برويّة وفطنة حتى هدأت الفتنة وزال شرها. ولم تطب نفس عدو الله ومن معه من المنافقين حتى ترصّدوا لتفكيك المجتمع المؤمن بالإفك الذي أشاعوه في حق أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وصفوان بن المعطل رضي الله عنه فنتج عن ذلك الشرُّ العظيم، والذي كاد يقتتل بسببه فضلاء الصحابة رضي الله عنهم، فإننا حين نتأمل في هذا "الحادث الذي أهم المسلمين، وكاد يوقع الفتنة بينهم، والذي أنزل الله فيه قرآنا؛ نجد أنه حادث مهم يمس أمن الجماعة ونظامها"[٣]. "فقد قذف جماعةٌ زوجَ النبي ﷺ وخاضوا في عرضها؛ وآذوها وآذوا النبي ﷺ بالإفك الذي قالوا؛ حتى اضطرب المجتمع الإسلامي اضطرابًا شديدًا؛ وكاد المسلمون يقتتلون"

(١) هنات: الفتن والأمور الحادثة. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٤١/١٢)، لسان العرب (٣٦٥/١٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢/٦) رقم (٤٩٠٢).
(٣) انظر: التشريع الجنائي في الإسلام (٢٩٥/١).

[١] "ولولا تماسك البنية الاجتماعية - بعد فضل الله- لكان لمكر هؤلاء شأن آخر، ولكنّ التهذيب الإسلامي الرفيع للمجتمع وتأكيد الإسلام على وحدة كلمة المؤمنين وطاعة الرسول ﷺ فوّتَ على أعداء الله أغراضهم"[٢].

ومما يؤكد أن هذا الهدف كان من أهداف المنافقين في قصة الإفك: أن المنافقين في غزوة بني المصطلق لعبوا "دورين هامّين كان لهما أثر كبير وهزة شديدة كادت أن تؤدي إلى فتن مستعرة لولا أن الله عصم المسلمين، ومنّ عليهم، ورد كيد المنافقين إلى نحورهم وفضح الكاذبين:

أما الدور الأول- فهو بذر الفتنة بين المهاجرين والأنصار حتى كادوا يقتتلون، ومحاولة توسيع شقّة الخلاف بينهم لسبب تافه عارض.

الدور الثاني- اتهام السيدة عائشة المبرأة المطهرة زوج الرسول ﷺ إفكًا وبهتانًا.

وكان الدوران كلاهما بعد انتهاء الحرب وانتصار المسلمين" [٣].

إن هذه الأهداف التي أراد المنافقون الوصول إليها في قصة الإفك لتستوقف الداعية عندها؛ ليتأمل فيها؛ فيستخلص منها الدروس والعبر، فـ"قد حرص أعداء الإسلام حديثا كما حرص أسلافهم قديما على الكيد للإسلام، فسلكوا في الماضي كل السبل؛ لصد المسلمين عن دينهم وإبعادهم عن معينه الصافي وتشريعه الحكيم، وحاولوا أن يصرفوا المسلمين عن دينهم وكتابهم، ويسلكوا تلك السبل التي تستوجب غضب الله وعقابه، حاولوا ذلك بكل ما أوتوا من قوة وخبث، ولكن الله حفظ دينه وكتابه ورد كيد أعداء هذا الدين والمتربصين به من الكفار والمنافقين في نحورهم، وبقيت شريعة الله محفوظة لم يؤثر فيها كيد الكائدين ومكر الماكرين.

وقد سلك هؤلاء الأعداء طرقا أخرى يرون أنها أجدى لبلوغ أهدافهم ونيل مآربهم الخبيثة،

---

(١) المصدر السابق (٢٩٤/١).
(٢) الإشاعة، ص (٤٣).
(٣) النفاق والمنافقون في عهد النبي ص (١٨٣).

واستغلوا كافة الوسائل التي لم تكن موجودة عند أسلافهم، وخططوا ونظموا للدعوة إلى باطلهم وكفرهم وإلحادهم، ووجدوا من ضعاف النفوس وقليلي الإيمان ممن ينتسبون للإسلام من المنافقين والمأجورين من يدعو إلى باطلهم وينفذ مخططاتهم، واتخذوا منهم معاول هدم للإيمان والأخلاق الفاضلة والمثل العليا التي جاءت بها الشريعة السمحة العادلة الكفيلة بمصالح البشرية في معاشها ومعادها"[1].

.

❁ ❁ ❁

(١) شريعة الإسلام وواجب العلماء نحوها، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول، صفحة ١٢.

الفصل الثالث

دروس وعبر من حادثة الإفك

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: دروس وعبر من حادثة الإفك خاصة بالأفراد.

المبحث الثاني: دروس وعبر من حادثة الإفك خاصة بالأسرة.

المبحث الثالث: دروس وعبر من حادثة الإفك خاصة بالمجتمع.

المبحث الرابع: دروس وعبر للداعية من خلال حادثة الإفك.

المبحث الأول

دروس وعبر من حادثة الإفك خاصة بالأفراد

أولاً: حُرمة المسلم:

الحُرمة لغة "هي ما لا يحل انتهاكه من ذمة أو حق أو صحبة او نحو ذلك "[١]، ولحرمة المسلم في الإسلام مكانة بارزة، ودور في بناء المجتمع المسلم، وحماية تماسكه بعد قيامه، وفي أحاديث الرسول ﷺ ما يمكن جمعه إلى بعض ليشكل قاعدة تتأسس عليها هذه القيمة الام، ومن ذلك قوله ﷺ : «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله، وفلا تخفروا الله في ذمته »[٢].

ومع الخطوات الأولى التي خطاها الرسول ﷺ كانت لهذا القيمة خاصة ظهرت في بيعة العقبة. فقد روى البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وكان شهد بدرا، وهو أحد النقباء في بيعة العقبة، أن رسول الله ﷺ قال وحوله جماعة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف »[٣]، "والبهتان: الكذب الذي يبهت سامعه"[٤]. وكأن المعنى لا ترموا أحدًا بكذب تزورونه في أنفسكم ثم تبهتون صاحبه بألسنتكم. ولا شك في أن النهي المغلّظ عن البهتان في بيعة تأسيس المجتمع المسلم مقترن بغيره من الكبائر كالسرقة والزنا وقتل الأولاد، بل واقترانه بالنهي عن الإشراك بالله، يؤكد حرص الإسلام على تأكيد حُرمة عرض المسلم وخطورة الافتراء عليه، وقد رفع الله هذه القيمة إلى القمّة فجعلها أفضل الإسلام.

---

(١) المعجم الوسيط، ص ١٧٥.
(٢) صحيح البخاري رقم الحديث (٣٩١)
(٣) صحيح البخاري رقم الحديث (١٨)
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨٢/١).

روى البخاري أن رسول الله سُئل: أي الإسلام أفضل؟ فقال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده »[١]. فالرسول ﷺ قدَّم اللسان وذلك لبيان ضرورة حفظ اللسان، وأن التهاون في الحديث ونقل الأقاويل قد يسبب ضررًا كبيرًا، واكبر مثال على ذلك هو حادثة الإفك، فمجرد كلمات قالها منافق، وتناقلتها الألسن، سبب أزمة عظيمة في المجتمع المسلم.

وكما بدأ تأسيس المجتمع المسلم بالتأكيد على حُرمة المسلم، أكَّدها الرسول ﷺ في خُطبة حجة الوداع، عن ابن عمر،رضي الله عنهما ، قال: قال النبي ﷺ بمنى: « أتدرون أي يوم هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن هذا يوم حرام أفتدرون أي بلد هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال بلد حرام أتدرون أي شهر هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال شهر حرام قال فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[٢].

ولم يقتصر اهتمام الرسول ﷺ في أدائه أمانة تبليغ الوحي بالأمر والنهي والحث والزجر، وإنما أوضح – فيما يمكن اعتباره تطبيقات لهذه القاعدة – قاعدة مراعاة حرمة المسلم، فقال ﷺ « عن النبي ﷺ قال: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا وكونوا إخوانا»[٣].

واخبر ﷺ أن جزاء النميمة الحرمان من الجنة قال ﷺ : «لا يدخل الجنة قتات »[٤]و"القتات هو النمام "[٥]. واخبر كذلك أن سباب المسلم فسوق. فقال ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٦].

فإذا كانت هذه هي حرمة المسلم فكيف بحرمة الرسول ﷺ وهو من أمر الله المؤمنين بطاعته، ومن نزلت آيات القران تعلم المؤمنين كيفية التعامل الصحيح مع أهله. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) صحيح البخاري رقم الحديث (١١).
(٢) صحيح البخاري رقم الحديث (٦٠٤٣).
(٣) صحيح البخاري رقم الحديث (٦٠٦٤).
(٤) صحيح البخاري رقم الحديث (٦٠٦٥).
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٨٨/١٠)
(٦) صحيح البخاري رقم الحديث (٤٨، ٦٠٤٤)

آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً﴾[1].

ولقد بيّن "حديث الافك حُرمة المسلم وقدره عند الله، وأنه يجب أن يعيش المسلمون أخوة متحابين متعاونين، ولا يجوز أن تكون أعراض المسلمين مادة للهو والعبث والقيل والقال، فهي مصونة محترمة ومعروف موقف الإسلام من الغيبة والنميمة، فقد حرمهما ونهى عنهما وصورهما بصورة بشعة تنفر منها النفوس الطيبة (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[2]. وهذا في الغيبة التي تكون أحيانًا دون القذف، فما بالك بالقذف الذي هو طعن في عرض المسلم، وهو أغلى ما يملك، ففيه تلويث لسمعته وافتراء عليه "[3].

إن العلاقة بين المسلمين لا بد أن تقوم على الحب والإيثار لا على الفردية والأنانية، فحُرمة المسلم على المسلم تقتضي الاحترام والصفح والمغفرة وعدم الاختلاف وحُسن الظن بالآخرين، وتقتضي ألاّ يتهم المسلم أخاه، ولا أن يسعى إلى إثارة الشبهات والأقاويل حوله بل يحرص على مساعدته والتغاضي عن هفواته وستر عيوبه وبذلك تتحقق هذا الدرس من هذه الحادثة في المجتمع المسلم.

ثانيًا الصبر:

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٣).
(٢) سورة الحجرات آية رقم (١٨)
(٣) العبد اللطيف، عبد الحليم بن إبراهيم (١٩٩٠م)، حديث الافك كما جاء في سورة النور واثر المنافقين فيه، بريدة، نادي القصيم الأدبي، ص٢٢٢.

الصبر هو التجلُّد وحُسن الاحتمال[١]، وقال الراغب: "الصبر. الإمساك في الضيق.. وصبرت الشيء أي حبسته. فالصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع، وتختلف معانيه بتعلقاته، فإذا كان عن مصيبة سُمِّي صبرا فقط، وإن كان عن لقاء عدو سُمِّي شجاعة، وإن كان عن كلام سُمِّي كتمانا، وإن كان عن تعاطي ما نهى عنه سُمِّي عِفَّة [٢].

وفي هذه الحادثة يتجلى صبر رسول الله ﷺ الذي وهذا الصبر يُعتبر من علامات النبوة، فهو رغم علمه ببراءة أهله إلا أنه صبر على الشائعات والأقاويل، وتمَّهل انتظارًا لأمر الله تعالى، وهذا هو خُلق الأنبياء والأئمة وقادة المجتمع لان الصبر يخالف العجلة والتسرع التي غالبا ما يرافقهما الخطأ.

وقد ضربت السيدة عائشة رضي الله عنها أروع المثل في الصبر على ما أُوذيت به. يروي البخاري في صحيحه أنها قالت: " فأصبح أبواي عندي - وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع - يظنان أن البكاء فالق كبدي. قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال: قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي أجيبي رسول الله ﷺ قالت ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥٢٥/١).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٣٠٩/١١).

استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون﴾[١].

وكذلك موقف أبي بكر الصديق وزوجه وصفوان بن المعطل جميعًا هو درس في الصبر على المحن والابتلاء. "والبلاء قد يكون نعم ينعم الله بها على عباده الذي يعلم منهم أنهم يتملون هذا البلاء ويصمدون فيه، ويظلون واعين لمبدئهم، فاهمين لغايتهم. ولما في الصبر على البلاء من خير كبير واجر عظيم كان فرصة للخير كريمة ومجالا لنيل الثواب والرضوان من الله "[٢].

فالصبر على الابتلاء من أعظم الأمور التي حضَّ الله تعالى عليها، وجعل الفور بالجنة هو جزاء الصابرين، وقرر سبحانه وتعالى أن ليس كل البلاء شر، بل قد يتضمن خيرا كما قال تعالى في شأن الحادثة: ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[٣]. فمن خيرات البلاء جزيل الثواب، وتكفير الذنوب، ورفع الدرجات، وتشريع للحدود، والصبر يتناغم مع الإيمان بالقدر، فهو يعني أن يرضى المسلم بكل ما يصيبه في الدنيا من خير أو شر ولا يعترض عليه، وذلك لا يتعارض مع الشكوى إلى الله والدعاء. وكذلك الصبر لا يعني اليأس والقنوط من رحمة الله، بل إن حقيقة الصبر تدفع إلى الأمام وتنهض بالمجتمعات، وتصل بها إلى أرقى المستويات.

ثالثا: الرضا بالقضاء:

أمر الله كل مسلم أن يقول: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٤]. وأخبر الله تعالى المؤمنين في كتابه العزيز بن كل ما أصاب المسلم فهو من عند الله. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ

(١) أخرجه البخاري رقم الحديث (٤٧٥٠)
(٢) الطنطاوي، محمد سعيد (١٩٩٣م)، هل في الخير شر، حيدر آباد، بيشاور، باكستان: دار الفتح، ص٣٤
(٣) سورة النور آية رقم (١١).
(٤) سورة التوبة آية رقم (٥١).

ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾[١]. وربط رسول الله ﷺ بين القضاء والصبر والرضى به، وبين تكفير الذنوب. فقال ﷺ : « قال: ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[٢].

فالاعتماد على الله والتوكل عليه سلاح يواجه به المؤمن متاعب الحياة، فلا يجزع عند وقوع المصائب وإنما يرضى بكل ما يصيبه في هذه الدنيا من خير أو شر ولا يعترض على قضاء الله وقدره، ويوقن أن ما من مصيبةٍ إلا ووراءها أجر.

ووري البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في مرضه هو يوعك وعكا شديدا وقلت إنك لتوعك وعكا شديدا قلت إن ذاك بأن لك أجرين قال أجل ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر»[٣].

ويشير قول الله تعالى في سياق حادثة الافك: ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[٤]. وتنبهنا الآية الكريمة إلى ما عند كثير منا من الضيق، وضعف الإدراك، وعدم معرفة حقائق الأحداث، وما تحمله من دروس وعِبر إلى الحياة والأمور، فتراه يقف عند الطبقة القشرية لا يحاول أن يتعدَّاها إلى حقيقة الأمر، ولا يسعى لتفهمه ومناقشته وربطه بحقائق الحياة، لينتهي إلى وضعه في موضعه "[٥].

وبين لنا أمر الافك أن المسلم مهما ارتفع مقامه، وعلت منزلته، وسما به تُقاه، معرَّض لأي لون من البلاء، فعليه أن لا يستكين إلى درجته، ويطمئن إلى مكانته، بل عليه أن يتوقع دوما كل أمر من أي نوع. "ولهذا لم يكن ابتلاء الله عز وجل رسوله بما تُحدِّث به عن سمعة زوجه غضبا من الله

(١) سورة الحديد آية رقم (٢٢).
(٢) أخرجه البخاري رقم الحديث (٥٦٤١).
(٣) أخرجه البخاري رقم الحديث (٥٦٤٧).
(٤) سورة النور آية رقم (١١).
(٥) الطنطاوي، محمد سعيد، مرجع سابق، ص١١

عليه، وإنما كان تعليمًا لكل مؤمن. ويُصحح لنا أمر الإفك المقاييس التي نستعملها في فهم الحياة، والتي قد يكون من بينها ما يحبسه البعض من أن النعم دليل رضى الله عن العبد، وأن البلاء يكون دومًا عقابًا أو دليلا على السخط "[١].

"وعلى هذا فلم يكن ابتلاء الله ﷻ عائشة رضي الله عنها بحديث الافك مصيبة من الله ﷻ – تدل على نقمته عليها أو على الأقل على عدم إكرامه لها، وإنما كان من أعظم المن والنعمة والفضل "[٢].

إن الإيمان بالقضاء والقدر جزء من العقيدة الإسلامية، وهذا الإيمان لا بد أن يرافقه العمل والسعي والتوكل على الله، ومن ثمَّ الرضى بكل ما ينتج عن ذلك. فالتوكل على الله لا يعني التكاسل والقعود عن العمل والتواكل، ولكن يعني العمل والأخذ بالأسباب وترك النتائج لإرادة الله ومشيئته فالتوكل إيمان وعمل.

رابعًا: الاستقامة

وصف الله الإسلام في فاتحة الكتاب بأنه: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٣]. وقال تعالى عن الرسول ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ﴾[٤]. ووصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالاستقامة، ووعدهم أحسن الجزاء عليها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٥]. وقال تعالى أيضا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٦]. بل إن النبي ﷺ مأمور بالاستقامة، قال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ

(١) المرجع السابق، ص ٣١، ٣٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٤.
(٣) سورة الفاتحة رقم الآية (٦)
(٤) سورة فصلت رقم الآية (٦)
(٥) سورة الاحقاف رقم الآية (١٣، ١٤)
(٦) سورة فصلت رقم الآية (٣٠)

اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١).

إن مجموع تلك الآيات يدل على أن المسلم لا بد أن يلتزم طريق الصواب ليصل إلى الجنة، ويقي نفسه شر الشبهات والأقاويل، ويبعد عنها مقالات السوء، وفي حادثة الافك كان لاستقامة عائشة رضي الله عنها وكونها فوق الشبهات، وكذلك الحال مع صفوان، الاثر الكبير في تبرئتهما من التهمة رغم كل الشائعات التي أثيرت حولهما.

والاستقامة كما يبدو من الآيات السابقة سبيل الخير وطريق الجنة، وهي صفة سلوك الرسول وسبيل كل مؤمن. وقد جمع الله الرسول والمؤمنين في سياق واحد وأمرهم جميعًا بالاستقامة. قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢).

وقد بيّنت سنة الرسول ﷺ مسالك الاستقامة للمؤمنين، ومن ذلك قوله ﷺ : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » (٣).

فالمسلم مطالب بالاستقامة في جميع أمور حياته، ومطالب بتلمس الحلال من الحرام، والبُعد عن مواطن الشبهات وأصدقاء السوء، وعدم التدخل في شؤون الآخرين، وإلا فإنه قد يجر على نفسه الكثير من المشاكل والمتاعب، وقد يقع في أمور محرمة إلا إذا التزم طرق الاستقامة.

---

(١) سورة الشورى رقم الآية (١٥)
(٢) سورة هود رقم الآية (١١٢).
(٣) أخرجه البخاري رقم الحديث (٥٢).

خامسًا: الرقابة الذاتية

رقابة المسلم على نفسه صمام أمان مهم لاستقامة أفعال الإنسان، وقد جعلها الرسول ﷺ في مرتبة الإحسان. روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه ، كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»(١).

فعلى من أراد بلوغ مرتبة الإحسان أن يراقب نفسه، وان يعبد الله كأنه يراه وهو ما يتطلب رقابة ذاتية صارمة.

ودعا الرسول ﷺ كل مسلم إلى أن يراقب نفسه فلا يدفعه حُب أو بغض إلى معصية، قال ﷺ فيما روى البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين رضي الله عنها مسلمة: انه ﷺ سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها، أو فليتركها»(٢).

ولعل هذه التربية العظيمة هي النى دفعت من يرتكب ما يوجب الحد في عهد الرسول ﷺ أن يذهب بنفسه معترفًا بذنبه دون رقابة أو تفتيش عن أفعاله. وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل رسول الله ﷺ وهو في المسجد فناداه، فقال يا رسول الله إني زنيت فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي ﷺ فقال: «أبك جنون؟ »قال: لا، قال: «فهل أحصنت»؟ قال نعم. فقال النبي ﷺ: « اذهبوا به فارجموه»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري رقم الحديث (٥٠)
(٢) أخرجه البخاري رقم الحديث (٢٤٥٨)
(٣) أخرجه البخاري رقم الحديث (٦٨١٥)

ومن الرقابة الذاتية استفتاء القلب فيما يعرض للمرء من مواقف الابتلاء، وقد "وقفت فئة مؤمنة تتسمع هذه الشائعة البغيضة وترددها وتساعد على نشرها سواء بطريقة مقصودة أو غير مقصودة "[١]. وقد فات هؤلاء أن يحكموا إيمانهم ويستفتوا ضميرهم، وفي المقابل كانت هناك فئة رجعت إلى نظرتها، وجزمت ببراءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فهما قد رجعا إلى رقابتهما الذاتية على دينهما ورسولهما وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

سادسًا: المسارعة إلى الخيرات ونكران الذات والتجرد من هوى النفس

أمر الإسلام المسلم بفعل الخير والتزامه، وحث على المسارعة في الخيرات، وهي منزلة لا يبلغها إلا من تربى على منهج الإسلام، وقد ورد الحث بالمسارعة على الخيرات في القران الكريم للرسول ﷺ وللمؤمنين، فقال تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢]. ووصف الله الصالحين بذلك، قال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣].

والسبق إلى الخيرات فضيلة وصفها الله تعالى بالفضل الكبير، اذ يقول: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[٤]. ومما يلفت النظر أن الخير في كل الآيات السابقة جاء في صيغة الجمع، ولم يأت مفردا أبدًا ما دام مقترنا بالإسراع، فالذين يسارعون يفعلون خيرات عديدة.

"قال تعالى: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٥].

---

(١) رشوان، علي محمود (١٩٩٤م)، حديث الافك من المنظور الإعلامي، مصر، انتر ناشونال برسي، ص٧٣.
(٢) سورة المائدة رقم الآية (١٤٨).
(٣) سورة ال عمران رقم الآية (١١٤)
(٤) سورة فاطر رقم الآية (٣٢)
(٥) سورة النور الآية رقم (٢٢)

نزلت في أبي بكر – رضي الله عنه – بعد نزول القرآن ببراءة الصديقة. وقد عرف أن مسطح بن أثاثة كان ممن خاضوا فيه. وهو قريبه. وهو من فقراء المهاجرين. وكان أبو بكر – رضي الله عنه – ينفق عليه. فآلى على نفسه لا ينفع مسطحا بنافعة أبدا، فنزلت هذه الآية تذكر أبا بكر، وتذكر المؤمنين، بأنهم هم يخطئون ثم يحبون من اللهّ أن يغفر لهم، فليأخذوا أنفسهم – بعضهم مع بعض – بهذا الذي يحبونه، ولا يحلفوا أن يمنعوا البر عن مستحقيه، إن كانوا قد أخطأوا وأساءوا "(١).

فما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو وما يكاد يلمس وجدانه ذلك السؤال الموحي: «أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ؟ » حتى يرتفع على الآلام، فإذا هو يلبي داعي اللهّ في طمأنينة وصدق يقول: بلى واللهّ إني لأحب أن يغفر اللهّ لي. ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، ويحلف: واللهّ لا أنزعها منه أبدا"(٢). وهذه المسارعة إلى الخيرات رغم ما انطوى عليه حادث الافك من بشاعة، درس بليغ لكل مسلم ليسارع في الخيرات، فالآية الكريمة تأمر: بالإنفاق، والعفو، والصفح، وتعج من يفعل ذلك بان يغفر الله له.

سابعًا: حسن الخُلُق

حفل القران بأوصاف عديدة للمؤمنين تصف عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم، وقد وصف الله المؤمنين بعد أن شرفهم بنسبته إليه سبحانه وتعالى. فسماهم "عباد الرحمن "فقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾(٣)، وأمر النبي ﷺ أن يأمر الذين يؤمنون بالله أن يقولوا التي هي أحسن. فقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً ﴾(٤). والقاعدة الذهبية التي تتأسس عليها الأخلاق الإسلامية هي قوله تعالى: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ

(١) قطب، سيد (١٩٨٥م) في ظلال القرآن، مصر، دار الشروق، ط ١٥، ص٢٥٠٤.
(٢) المرجع السابق، ص٢٥٠٥.
(٣) سورة الفرقان رقم الآية (٦٣)
(٤) سورة الإسراء رقم الآية (٥٣)

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[١]. وقد تضمنت آيات سورة النور المتعلقة بالافك العديد من القيم والدروس الأخلاقية مثل توضيح بعض سمات المؤمنين والحث على الاتصاف بصفاتهم وبيان علامات النفاق والبعد عنها، وكالعفو عند المقدرة ومواصلة العطاء رغم الإساءة، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع مسطح بن أثاثة امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]. فقد ربط الله تعالى بين الصفح والعطاء والإحسان إلى من أساء وبين المغفرة من الله تعالى.

وكذلك حفظ اللسان، فلا يجوز للناس التحدث عن الغير بما يسيئهم سواء كان صحيحا أو كاذبا، وفي حادثة الافك كان على المسلمين ألا يستمعوا إلى حديث الافك ولا يصدّقوه ولا حتى يتحدثوا فيه ويتناقلوه فيما بينهم. يقول تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

"هذه الآية الكريمة تُعلم المسلمين أدب الحديث وأدب التحدث إلى الناس وأدب الاستماع، فأدب الحديث ألا يقول الإنسان كلاما إلا إذا كان متأكدا منه واثقا من صحته، وإلا وقع في المحظور والحرام، وأدب الحديث ألا يتحدث الإنسان إلى غيره بأي كلام يسيء إلى غيره من الناس، وأدب الاستماع وهو ألا يستمع الإنسان إلى باطل أو كذب أو بهتان "[٤].

ثامنًا: المبادرة إلى التوبة

التوبة هي: "الاعتراف والندم والإقلاع والعزم على ألا يعاود الإنسان ما اقترفه من ذنب"[٥].

---

(١) سورة فصلت رقم الآية (٣٤)
(٢) سورة النور الآية رقم (٢٢)
(٣) سورة النور رقم الآية (١٤)
(٤) محمود، علي عبد الحليم (١٩٩٤م)، التربية الإسلامية في سورة النور، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، سلسلة التربية في القرآن الكريم (٢)، ص٧٩.
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩٣/١).

وهي باب من أبواب الرحمة شرعه الله لعباده، وقد فتح الله باب التوبة للذين تزلّ ألسنتهم بالكلام عن جهل وتعجّل ليراجعوا أنفسهم، ويتحللوا مما أوقعتهم فيه ألسنتهم قبل أن ينزل بهم الموت، وتفوت عليهم الفرصة، وقد ورد في القران توضيح لمعنى اللفظ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً ﴾(٢).

وقد كان مما توجه به الرسول ﷺ إلى السيدة عائشة رضي الله عنها قبل نزول البراءة من السماء أن قال: « أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه» (٣). فهو درس تربوي عملي من الرسول ﷺ للمؤمنين.. فعلى المؤمن إن أخطأ أن يعترف بذنبه، ثم يتوب إلى الله لكي يتوب الله عليه، وإذا كان الرسول ﷺ يذكّر عائشة رضي الله عنها بذلك فتربية مسلمي اليوم على ذلك أوجب، ليتعلموا المبادرة إلى التوبة فيتوب الله عليهم.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النساء رقم الآية (١٧- ١٨)
(٢) سورة الفرقان رقم الآية (٧١)
(٣) أخرجه البخاري رقم الحديث (٤٧٥٠).

المبحث الثاني

دروس وعبر من حادثة الإفك خاصة بالأسرة

تمهيد:

الأسرة في الإسلام هي الركيزة الأساسية للمجتمع، وهي في نفس الوقت المجتمع الأصغر للفرد، ولذلك حرص القرآن الكريم على إقامتها على أُسس متينة من القوانين الاجتماعية، فحسن الاختيار هو الأساس الذي يضمن الاختيار هو الأساس الذي يضمن النجاح، فلا بد أن يتم على أُسس دينية وأخلاقية، وحسن العشرة والمعاملة بالمعروف هما البلسم الذي يقضي على المشاكل والخلافات، وتحكيم شرع الله في كل ما يطرأ على تلك الحياة المشتركة هو الضمان لديمومة الحياة الزوجية.

وقد تضمنت حادثة الافك عددا من الدروس والعبر الخاصة بالأسرة المسلمة التي تكفل ترابطها واستمراريتها ونجاحها، ومن أهمها:

أولا: حُسن العشرة

الأسرة في الإسلام قوامها المودة والرحمة والسكن، وقد أمر الله الرجال بحكم قوامتهم على النساء أن يعاشرهن بالمعروف. قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1]. واستمرار الزواج وكذلك انتهاؤه كلاهما يجب أن يتم بمعروف، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[3].

وللرسول ﷺ وصايا في حُسن العشرة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : « خيركم

(١) سورة البقرة رقم الآية، ٢٢٨)
(٢) سورة الطلاق رقم الآية (٢)
(٣) سورة البقرة رقم الآية (٢٢٩)

خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[١] الترمذي، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم. »[٢].

ومن حُسن عشرة الرسول ﷺ لأهله أنه بعد أن انتشر حديث الافك وقبل أن تنزل البراءة من السماء خطب، فقال: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا »[٣]. فضرب بذلك المثل في حُسن العشرة حتى في أحلك الظروف وأصعبها، حيث أعلن أمام الملا انه لم ير ولم يجد من زوجته إلا خيرا، ولم يتأثر بما سمعه عنها، ولم يدفعه ذلك إلى التسرع في الحكم عليها بأي شيء نتيجة الغضب والانفعال الناجم عن ذلك الموقف.

ثانيًا: التثبت عند سماع خبر السوء

خبر السوء ابتلاء ينبغي على المؤمن أن يتحلى أمامه بالصبر وان يسعى إلى التثبت، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٤]. والمعنى: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إن جاءكم فاسق بنبإ وبخير عن قوم لا تعجلوا بقبوله، وتثبتوا في الأمر كيلا تصيبوا قوما وهم براء. وقيل نزلت هذا الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، نزلت هذه الآية الكريمة في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد أرسله النبي – ﷺ – إلى بني المصطلق ليأتيهم بصدقات أموالهم فلما سمعوا به تلقوه فرحا به، فخاف منهم وظن أنهم يريدون قتله، فرجع إلى نبي الله – ﷺ – وزعم له أنهم منعوا الصدقة وأرادوا قتله، فقدم وفد منهم إلى النبي – ﷺ – فأخبروه بكذب الوليد، فأنزل الله هذه الآية، وهي تدل على عدم تصديق الفاسق في خبره. قال الإمام الحسن ﷺ في هذه الآية: فوالله لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة إنها لمرسلة إلى يوم القيامة ما نسخها شيء. والفساق والكذابون في كل زمان، فعلى الإنسان

(١) أخرجه الترمذي رقم الحديث (٣٨٩٥)
(٢) أخرجه أحمد بن جنبل في مسنده رقم الحديث (٧٤٠٦).
(٣) أخرجه البخاري رقم الحديث (٤٧٥٠).
(٤) سورة الحجرات رقم الآية (٦)

أن يتأنى ولا يتعجل بالحكم على احد، فقد أمره الله بالتثبت قبل الوقوع في عاقبة الحكم على الناس بالباطل والافك والبهتان.

"وفي حديث الافك درس بليغ للمسلمين فهو يكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه اللهّ ويبين مدى الأخطار التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. فهي عندئذ لا تقف عند حد. إنما تمضي صعدا إلى أشرف المقامات، وتتطاول إلى أعلى الهامات، وتعدم الجماعة كل وقاية وكل تحرج وكل حياء، وهو خير أن يكشف اللهّ للجماعة المسلمة – بهذه المناسبة – عن المنهج القويم في مواجهة مثل هذا الأمر العظيم. ولو استشار كل مسلم قلبه يومها لأفتاه ولو عاد إلى منطق الفطرة لهداه. كان هذا هو الأولى أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا. وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة، وامرأة نبيهم الطاهرة وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهم. فظن الخير بهما أولى"[1].

"هذه هي الخطوة الأولى في المنهج الذي يفرضه القرآن لمواجهة الأمور. خطوة الدليل الباطني الوجداني. فأما الخطوة الثانية فهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي، وهذه الفرية الضخمة التي تتناول أعلى المقامات، وأطهر الأعراض، ما كان ينبغي أن تمر هكذا سهلة هينة وأن تشيع هكذا دون تثبت ولا بينة وأن تتقاذفها الألسنة وتلوكها الأفواه دون شاهد ولا دليل، هاتان الخطوتان: خطوة عرض الأمر على القلب واستفتاء الضمير. وخطوة التثبت بالبينة والدليل غفل عنهما المؤمنون في حادث الإفك وتركوا الخائضين يخوضون في عرض رسول اللهّ – ﷺ – وهو أمر عظيم لولا لطف اللهّ لمس الجماعة كلها البلاء العظيم. فاللهّ يحذرهم أن يعودوا لمثله أبدا"[2]

إن مسؤولية التثبت من الأخبار تقع على كل فرد في المجتمع، فلا يقبل ولا يستمع لأي

(١) قطب، سيد (١٩٨٥م) في ظلال القرآن، مصر، دار الشروق، ط ١٥، ص٢٥٠١.
(٢) قطب، سيد (١٩٨٥م) في ظلال القرآن، مصر، دار الشروق، ط ١٥، ص (٥٠٢/٤)

شائعة أو خبر – خاصة إذا كان سيئا –إلا بعد التأكد من صحتها ولا بد من تحاشي التسرع وسوء الظن، وذلك بالدقة واليقظة والحيطة ومعرفة المصدر. وفي حادثة الافك درس للمسلمين للتثبت من الأخبار وعدم اتهام الآخرين بدون علم، ففي الإسلام المتهم بريء حتى تثبت إدانته، والقرآن حث الصحابة إلى ضرورة تكذيب خبر الافك وعدم تناقله حتى تثبت صحته من عدمها، والرسول ﷺ عمل على تأكيد ذلك بمساعدة الصحابة ومشاورتهم.

ثالثا: تحكيم شرع الله

تحكيم شرع الله من أظهر علامات الإيمان، والقران الكريم صريح في نفي الإيمان عمن لا يحكِّم شرع الله راضية به نفسه. قال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1]، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يحكم بين الناس بما انزل الله، ونهاه نهيا قاطعا عن إتباع أهوائهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾[2] وقال تعالى في وصف من لم يحكّم شرعه: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ). وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)، وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ).

ولعلّ في قصة المخزومية التي سرقت درسًا بليغا وتدريبا تربويا مهما، وقد روى البخاري "عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المخزومية... لقطعت يدها ». والحديث يدل على عِظَم وخطورة تضييع حدود الله بالاحتكام إلى غير ما أنزل الله، أو بالتهاون في إقامتها والتفرقة بين الناس بحسب منزلتهم لان في ذلك ضلالاً لا يرضاه الله لعباده.

وقد احتكم الرسول ﷺ إلى شرع الله فأقام الحد على من ثبت عليه. "وكان الذين خاضوا في

(١) سورة النساء رقم الآية (٦٥)
(٢) سورة المائدة رقم الآية (٤٩)

الافك مع ابن أبي مسطح بن اثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، فضربهم رسول الله ﷺ الحد"[١]، فلم يخرج الرسول ﷺ عما شرعه الله رغم بشاعة الجرم ورغم قدرته على إنزال اشد العقاب بهم.

رابعًا: تقديم رابطة الدين

الرابطة الدينية في حقيقة المسلمين لا بد أن تكون أول واهم الروابط إطلاقًا، وهي تعتبر دليلا على قوة الإيمان وكمال العقل، ولنا في رسول الله ص قدوة حسنة حينما قدّم هذه الرابطة على جميع ما عداها من الروابط، فلم يلتفت ﷺ إلى أي رابطة بينه وبين السيدة عائشة رضي الله عنها أو بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

إن تقديم رابطة الدين بين المسلمين يساوي تطبيق الشريعة الإسلامية بين البشر في المجتمع الإسلامي، لان هذه الرابطة مستمدة من كتاب الله تعالى وشريعته.

"ولنا في قصة نوح عليه السلام أسوة، قال تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾[٢]، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ في صراحة ووضوح، رغم أنه ولده من صلبه، وما أهله إلا الذين آمنوا معه، واحتوتهم سفينة الإيمان والنجاة. إنها الحقيقة الضخمة الخالدة التي يُرسي قواعدها القرآن ويُقرها في الحياة، ويربي على أساسها الأمة المؤمنة، فلا أبوة، ولا قرابة، ولا زوجية، إلا على أساس الإيمان"[٣].

فالله تعالى أراد أن يقوم المجتمع الإسلامي على يد رسوله ﷺ على أساس أحكام الله تعالى ومبادئ شريعته ،وهذه الأحكام تقتضي أن يكون نصر المؤمنين بعضهم لبعض قائما على أساس

(١) المقريزي، تقي احمد بن علي، (١٩٩٩م) إمتاع الأسماع، بيروت، دار الكتب العلمية (٢١٠/١)
(٢) سورة هود الآيات رقم (٤٥- ٤٦).
(٣) شديد، محمد (١٩٨٩م) منهج القرآن في التربية، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية ص٢٢٧.

الدين وأي شيء آخر فإنما يأتي بعد ذلك. وهذا بالتحديد ما فعله رسول الله ﷺ في حادثة الافك، فهو رغم عِلمه التام ببراءة زوجته مما تُتَّهم ب هالا انه لم يستطع أن يُعلن شعوره ويقدم رابطة الزوجية على الوحي وكلام الله تعالى وأمره. لقد صبر ﷺ على تلك المحنة شهرًا كاملاً حتى فصل الله تعالى من عنده في ذلك الشأن، وأنزل قرآنًا يُتلى، وكل ذلك دليلا على وجوب تقديم الرابطة الدينية عما سواها وجعل تلك الحادثة درسا عمليا للمسلمين.

وبناء على ما تقدم يتضح أهمية غرس تلك الدروس داخل الأسرة المسلمة لأنها تعتبر المدرسة الأولى وفيها يبدأ تشكيل شخصية الفرد الدينية والاجتماعية والأخلاقية، ومنها ينطلق إلى المجتمع الخارجي ليشارك في إقامته وبنيانه على تلك الأسس والدروس والقيم.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

دروس وعبر من حادثة الافك خاصة بالمجتمع

تمهيد:

سيقتصر الحديث في هذا المبحث عن بعض الدروس والقيم المتعلقة بحادثة الافك، وهي دروس عظيمة أشاد بها القرآن الكريم، وعلا بتطبيقها شان المسلمين في عهد الرسالة، وهبطت بالغفلة عنها المجتمعات اللاحقة بعد ذلك العد النيَّر، وهي مبادئ عامة وبسيطة وتطبيقها يتلائم مع طبيعة وفطرة البشر التي خلقهم عليها سبحانه وتعالى، وهي تتفاوت بين الشورى والتكافل الاجتماعي وأخذ الحذر والحيطة من الأعداء داخليًا وخارجيًا إتقاءً للفتنة والفساد، وغيرها الدروس التي تضمن مجتمعًا إسلاميًا قويًا مطبقًا لشريعة الله وناشرًا لدينه.

أولا: التوعية بالأخطار المحيطة حماية من الفتنة

عرض الله تعالى أعمال المنافقين وأسلحتهم بقوله تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، وقد حفل القرآن بالأخبار التي تفضح نيتهم الخبيثة، ومخططاتهم الدنيئة، فهم ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[2]، وهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وهم ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى

(١) سورة التوبة رقم الآية (٦٧)
(٢) سورة التوبة رقم الآية (٥٦)

بِاللهَّ وَكِيلاً﴾[١].

وقد حذّر الله المؤمنين من مصادر الفتنة التي توجد داخل المجتمع متمثلة في المنافقين، فقال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُّ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٢]، وكشف للنبي ﷺ نواياهم فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[٣]

"وحديث الافك وما ترتب عليه من نزول الآيات التي تفضح الخائضين فيه، أوضح بجلاء خُبث اليهود والمنافقين، وتآمرهم وتلاحمهم من اجل الكيد للإسلام وأهله والقضاء على الجماعة الإسلامية، وأنهم – أي اليهود والمنافقين – هم ألد أعداء الأمة الإسلامية، وأنهم مصدر البلاء والوقيعة، وأنهم لا يهدأ لهم بال حتى يلحقوا الضرر بالأمة الإسلامية، وأن المنافق عدو متربص بالمسلم الصادق، وإن ظهر له بمظهر المسالم، فهو عدو ماكر حاقد لئيم. و قد كشف لنا حديث الافك عن الحاقدين والكائدين للإسلام المتربصين بالرسول ص وصحبه الدوائر، وهو درس واضح بليغ للمسلمين عامة لئلا ينخدعوا بالمنافقين، فهم عدوهم الأول، وهم مصدر الداء، مكمن العلة، منهم تخرج الفتنة واليهم تعود، وقد اعتادوا الباطل، وألفوا المنكر، فلا يتورعون عن فعل قبيح، ولا مقارفة إثم همَّهم الأول والأخير زعزعة الصف الإسلامي وبعثرة جهود المسلمين، وإيقاع الفرقة والانقسام بين صفوفهم[٤].

كما أن حديث الافك ينبِّه المسلمين إلى أمر خطير، وهو أنهم يجب ألا ينتظروا المهاجمة من الميدان الخارجي فقط، ولا يتوقعوها من أعدائهم فحسب، فيغفلوا عن الميدان الداخلي، وقديما قالت العرب: من مأمنِه يؤتَى الحذر. فالذين جاءوا بالافك ليسوا بعيدين عن المدينة وليسوا

(١) سورة النساء رقم الآية (١٨٠)
(٢) سورة التوبة رقم الآية (٤٧)
(٣) سورة التوبة رقم الآية (٤٨).
(٤) العبد اللطيف، إبراهيم عبد الحليم، مرجع سابق، ص٢٢٠، ٢٢١.

كلهم بعيدين عن الإسلام، بل قد تورّط فيه بعض الكبار تاب الله عليهم وغفر لهم[١].

فالمنافقون وباء داخلي ابتلى به الله تعالى المسلمين خاصة في العهد الأول، عهد رسول الله ﷺ، فقد كانوا يُظهرون الإيمان والحب لرسول الله ﷺ بينما هو يُخفون الكفر والرغبة في التشتيت والإيذاء، لذلك كان خطرهم عظيما.

والنفاق صفة قد تصيب حتى المسلمين أنفسهم، لذلك لا بد أن يكون قلب الإنسان مؤمنا صافيا ليس فيه شيء من الرياء والنفاق ليكون مؤمنا حقا، وان يبتعد عن الخصال التي يُعرف بها المنافقون كالكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة والعهد.

وحتى يبين الله تعالى مدى بشاعة هذه الخصلة "النفاق "قرن بين المنافقين والكافرين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَّ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾[٢]، وذلك لان في النفاق أضرارًا بالغة تصيب الفرد والمجتمع وتُسبب الفرقة والفتنة.

ثانيًا: الشورى

وصف الله المؤمنين في كتابه العزيز فقال: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٣]، وأمر الرسول ﷺ بمشاورة المؤمنين، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهَّ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾، وقد استشار الرسول ﷺ الصحابة في أحرج المواقف وأشدها ففي غزوة بدر وسار رسول الله ﷺ حتى نزل عشيا أدنى ماء من مياه بدر، فقال: "أشيروا على في المنزل". فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله؛ أنا عالم بها وبقلبها، إن رأيت أن نسير إلى قلب قد عرفناها،

(١) الطنطاوي، محمد سعيد، مرجع سابق، ص٣٦.
(٢) سورة النساء رقم الآية (١٤٠)
(٣) سورة الشورى رقم الآية (٣٨)

فهى كثيرة الماء، عذبة، فننزل عليها ونسبق القوم إليها ونغور ما سواها من المياه[١]. ونزل رسول الله ﷺ حيث أشار الحُباب. وفي غزوة أُحد استشار رسول الله ﷺ أصحابه أيخرج إليهم، أم يمكث في المدينة؟ وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصنوا بها، فإن دخلوها، قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبى، وكان هو الرأي، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر، وأشاروا عليه بالخروج، وألحوا عليه في ذلك، وأشار عبد الله بن أبى بالمقام في المدينة، وتابعه على ذلك بعض الصحابة، فألح أولئك على رسول الله ﷺ، فنهض ودخل بيته، ولبس لأمته، وخرج عليهم، وقد انثنى عزم أولئك، وقالوا: أكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج[٢].

وفي غزوة الخندق "لما سمع فلما سمع رسول الله ﷺ بمسير الكفار إلى المدينة استشار الصحابة، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة، فأمر به رسول الله ﷺ بحفره[٣]. "ولما طالت على الحال على المسلمين راد رسول الله ﷺ أن يصالح عيينة بن حصن، والحارث بن عوف رئيسى غطفان، على ثلث ثمار المدينة، وينصرفا بقومهما، وجرت المراوضة على ذلك، فاستشار السعدين في ذلك، فقالا: يا رسول الله؛ إن كان الله أمرك بهذا، فسمعا وطاعة، وإن كان شيئا تصنعه لنا، فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟، والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوب رأيهما، وقال: "إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة"[٤].

وفي حادثة الافك "واستشار رسول اللهَّ ﷺ عليا وأسامة في فراق عائشة. فقال أسامة: هذا

(١) الجوزية، ابن القيم (١٩٨٧م) زاد المعاد في هجي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق عبد القادر الارناؤوط، (١٧٥/٣).
(٢) المرجع السابق، (١٩٣/٣)
(٣) نفس المرجع، (٢٧١/٣).
(٤) الجوزية، ابن القيم، مرجع سابق، (٢٧٣/٣).

الباطل والكذب، ولا نعلم إلا خيرا، وقال عليّ: لم يضيق اللهَّ عليك، والنساء كثير، وقد أحلّ اللهَّ لك وأطاب، فطلقها وأنكح غيرها. وخلا ﷺ ببريرة وسألها فقالت: هي أطيب من طيب الذهب، واللهَّ ما أعلم عليها إلا خيرا، واللهَّ يا رسول اللهَّ لئن كانت على غير ذلك ليخبرنك اللهَّ بذلك، ألا إنها جارية ترقد عن العجين حتى تأتي الشاة فتأكل عجينها. وسأل زينب بنت جحش فقالت: حاشى سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرا، واللهَّ ما أكلمها، وإني لمهاجرتها، وما كنت أقول إلا الحق. وسأل أم أيمن فقالت: حاشى سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها قط إلا خيرا[١].

ويبدو ظاهرًا حِرص الرسول ﷺ على استشارة من يثق فيهم: علي بن أبي طالب، وأسامة، ومن يظن أن لديهم علم: بريرة... خامتها، وزينب بنت جحش.. مهاجرتها، وكلٌ صَدَقَ فأوفى، فالمستشار مؤتمن والمستشير مستفيد لا محالة من رأي غيره.

ثالثا: محاربة الشائعات

الشائعة هي "مجموعة معلومات تنتشر بسرعة فائقة لارتباطها ببعض الحقائق الرسمية أو المصدق عليها، ويُمكن أن تنتشر بواسطة الأوساط الجماهيرية أو شفاهة. أو بعبارة أخرى: هي معلومات تنتقل بين الأفراد بالرغم من عدم استنادها إلى مصادر موثوق بها، وهي تستهدف غالبا فرداً معيناً أو نظاماً دينياً أو اقتصادياً، وربما تستهدف المجتمع كله، وقد تكون ذات طابع قومي أو عالمي"[٢].

وللإسلام منهج تربوي متكامل في محاربة الشائعات يبدأ من تربية المسلم على الصدق، وهو أمر الهي تكرر في القران الكريم في مواضع عديدة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ

(١) المقريزي، مرجع سابق، (٢٨١/١).
(٢) عبد الباقي، زيدان (١٩٧٩م) علم النفس الاجتماعي في المجالات الاجتماعية، مصر، مكتبة غريب، ص٢٢٠.

وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾[٢]. ومن الدعاء القرآني: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾، وزادت السنة النبوية الأمر تأكيدًا فحث الرسول ﷺ كل مسلم على حفظ لسانه مؤكدًا أن ذلك من صفات المسلم، قال ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٣].

وحرص الإسلام على ترسيخ هذا الخلق الكريم في نفوس المسلمين، فحذر من فضول الكلام، واللغو، فقد يكون فيه هلاك قائله، قال ﷺ : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»[٤].

وعاتب سبحانه وتعالى من تناقل حديث الافك من المؤمنين جاهلا بخطورته، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾[٥].

ويبلغ التحذير من خطر الشائعات قمته بفضح القران الكريم لحقيقة نيّة المنافقون، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٦]. فقد يؤدي التساهل في التعامل مع الشائعات إلى عواقب وخيمة تقع على الفرد في الدنيا والآخرة، وعلى المجتمع، إذ قد تؤدي إلى منكرات اجتماعية خطيرة، وقد يقصد من يصنعونها إلى هدف أكير من النَّيل من سمعة شخص.

"إن المجتمع الإسلامي مجتمع منضبط يجب أن يخلو من التهمة والريبة، ومن الكلمة الغير

(١) سورة الأحزاب رقم الآية (٣٥)
(٢) سورة يونس رقم الآية (٢)
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري رقم الحديث (٦٤٨٧).
(٥) سورة النور رقم الآية (١٥)
(٦) سورة النور رقم الآية (١٩)

المسؤولة التي تجرح هذا أو تتهم هذا أو تشيع مقالات السوء هنا أو هناك. ومن علامات ضبط التشريع الإسلامي للمجتمع أن كل كلمة تصدر من متكلم وتمس غيره بضرر لا بد لها ولصاحبها من حساب وعقاب، إذ من المسلّمات في شريعة الإسلام أن الإنسان مؤاخذ بما يتكلم به مؤاخذة دنيوية ببعض الحدود إذ بلغت الكلمة حد تناول الأعراض، ومؤاخذة أخروية يفعل الله سبحانه فيها ما يشاء. إن المجتمع المسلم له تشريعات إنسانية حكمية تحفظ على الإنسان عرضه وكرامته، وتحاسب على التلفظ بالكلمة إن تعرضت لعرض الإنسان أو شرفه، إنه المجتمع الذي بتشريع الله له ما يحفظ عليه دينه ودنياه "[1].

إن الشريعة الإسلامية قد شرعت الحدود من أجل أن تحفظ للمجتمع المسلم حقوقه، وتمنع عنه الفوضى والفتن، كما بينت أهمية حفظ اللسان، وأنه إذا أشاع شخص على آخر ولم يأت ببينة وجب إقامة الحد عليه، وهذا هو العلاج الناجح للقضاء على الشائعات، فإذا عرف أنه سيعاقب على أقواله التي يرميها بغير دليل ولا اعتبار سيتردد كثيرا قبل أن يبادر إلى الحديث عما يعرف وما لا يعرف.

ورغم ذلك فإن "وجود أفراد في المجتمع المسلم يسارعون إلى الخوض في أعراض الناس ورميهم واتهامهم دون دليل، ودون تحر للصدق، ظاهرة تكاد تكون موجودة في كل زمان ومكان، وهي تدل على ضعف أخلاق هؤلاء الذين يرددون أحاديث الافك، وابتعادهم عن القيم الخلقية الإسلامية، وهي ظاهرة سيئة يستحق من يمارسها العقاب الذي شرعه الله له ولأمثاله، ولكنها ليست سببا في إدانة المجتمع كله، ففي الناس خيرا وحب الخير، بل إن إشاعة هذه التهم لا بد تتمخض عن بعض الخير على الرغم مما فيه من شر. فوجود الشر والأشرار والافتراءات على أعراض المسلمين من فئة ضالة ينبغي أن يترك في نفوسنا رغبة في الدعاء لهم

(١) محمود، علي عبد الحليم، مرجع سابق، ص (١٣- ١٤).

بالهدى والاستقامة بعد التوبة والاستغفار، والصبر عليهم إذا لم نستطع إقامة الحدود عليهم ليتطهروا بها من معاصيهم، ويتطهر منهم مجتمع المسلمين، فلا يجرؤ أحد منهم على أن يعود لمثل ذلك أبدًا، لان الصبر عليهم –ما دامت الحدود معطلة –هو نوع من العلاج والإصلاح"[١].

إن المجتمع الإسلامي إذا سمح للشائعات أن تكون ظاهرة منتشرة فيه فسوف يكون ذلك سبب زواله وهلاكه، وإذا لم ينتبه المسلمون لذلك الوباء ويتصدوا له فسوف يتخلل المجتمع الإسلامي البلبلة وتسوده الفتنة. لذلك لا بد من اتخاذ الوسائل التي تمنع انتشار الشائعات وهي التي وجهت إليها آيات القران الكريم في سورة النور، والتي اتبعها رسول الله ﷺ من خلال الحادثة، والتي تبدأ تحُسن الظن وتكذيب الأخبار السيئة.

رابعًا: التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي هو أساس المجتمع الإسلامي، والمسلمون مكلفون برعاية مصالح الضعفاء والفقراء منهم، وينشأ التكافل الاجتماعي من حث الإسلام الدائم على المساواة والإخاء بين المسلمين، وهو يعني أن يهتم الفرد بشؤون الآخرين، وأن يتكفل المجتمع بكل فرد من أفراده بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على الجماعة ولا العكس.

"والتكافل بين الفرد وأسرته يعتبر قوام هذه الأسرة ورباطها الذي يقوي عناصر المحبة والود والإخاء، ويسهم في بناء كيان مؤسس على الحق والخير في المجتمع "[٢].

وفي حادثة الافك درس بليغ في وجوب استمرار التكافل الاجتماعي حتى عند إساءة بعضهم إلى بعض، وقد كان فيمن اشترك في ترويج الافك مسطح بن أثاثة، فما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها ، قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته: والله لا انفعه بنفعٍ أبدا بعد الذي قال

(١) المرجع السابق، ص٨٣.
(٢) بكر، عبد الجواد سيد، (١٩٨٣م) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، القاهرة، دار الفكر، العربي، مكتبة التربية الإسلامية، ص١٥١- ١٥٢.

لعائشة وأدخل علينا. فانزل الله: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١] فقال أبو بكر: بلى والله إني لا أحب أن يغفر الله لي، فأرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها أبدا.

وهذا دليل على نفسٍ كريمة وقلب معلق بطاعة الله، وشخصية تغلب عليها طاعة الله والسعي لنيل مغفرته مهما كان الثمن، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يُكرم مسطح ويتصدق عليه، فما كان من هذا بدوره إلا أن رد الحسنة بالسيئة، وتناقل الحديث الذي يمس اقرب الناس إليه ابنته وعِرضه، ورغم ذلك كله تغلَّب أبو بكر على مشاعره الإنسانية وعواطفه الأبوية وأعاد ما كان ينفقه على مسطح امتثالاً لأمر الله وابتغاء لمغفرته تعالى. وهذا دليل على منزلة التكافل الاجتماعي في الإسلام، فالمال في يد الإنسان وسيلة لا غاية، جعله الله اختبارا وابتلاءً ليرى كيف يعمل به أصحابه نشرا للتعاون والتكافل وتحقيقا لمعنى الأخوة الإسلامية.

خامسا: العدل

للعدل دور بارز ومكانة في منهج التربية الإسلامية، وأول لَبِنات العجل، جعله من أمهات الأوامر التي أمر الله المؤمنين به، والتي يتأسس عليها الإيمان، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢]. وهو أمر من الله لنبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾[٣].

وخير ما نطق به من يقدر على الكلام أن يأمر بالعدل، قال تعالى: ﴿ضرب وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً

(١) سورة النور الآية رقم (٢٢)
(٢) سورة النحل رقم الآية (٩٠)
(٣) سورة الشورى رقم الآية (١٥).

رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١). وقد أمر الله به عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَّ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَّ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾(٢).

ونهى الله عباده المؤمنين عن الانحراف عنه بسبب حب احد ولو كان ذا قربى، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَّ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾(٣).

وإن" إشارة من الرسول ﷺ كانت كافية حتى يضرب المسلمون أعناق كل من رموه في كل شيء من فراشه، وعرضه، وقلبه، ورسالته، فها هو ذا يرمى في كل شيء من هذا، ويتحدث به الناس شهرًا كاملا في المدينة، ولكنه يصبر عليه، ويعاني شدائده، وعندما يأتيه الحكم الإلهي لا يقيم الحد إلا على الأفراد الثلاثة من المسلمين الذين كانت قد تثبتت عليهم جريمة القذف"(٤).

إنه العدل الذي لا ينحرف عنه رسول الله ﷺ، والذي ينبغي ألا ينحرف عنه المؤمنون لحب أو بغض ولو كان أحدهم قادرًا على أن يظلم، وبهذا العدل تقام شرائع الله على الناس جميعا، وحتى لو كان الجرم الذي ارتكبوه في حق رسول الله ﷺ .

سادسًا: التثبت من الأخبار

"يقصد بالأخبار كل قول أو فعل ينقل من طرف إلى آخر (فرد أو جماعة) بأي وسيلة من وسائل الإعلام. والأصل أن تسود الثقة في المجتمع لكي تستقيم الأمور وتنتظم الحياة، فالأصل

(١) سورة النحل رقم الآية (٧٦)
(٢) سورة النساء رقم الآية (٥٨)
(٣) سورة النساء رقم الآية (١٣٥)
(٤) المودودي، أبو الأعلى (١٩٥٩م) تفسير سورة النور، دار الفكر، تعريب: محمد عاصم الحداد، ص١٢٣- ١٢٤.

في المؤمن الصدق، أما الفاسق فهو مظنة الكذب، فلا نتسرع في الحكم على خبره حتى نتثبت. ويروى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه ذُكر له رجل بأنه على خُلُق. فقال: هل عاملته بالدينار والدرهم؟ هل سافرت معه؟ ثم قال أحسبك رايته يدخل المسجد ويخرج. قال نعم. قال اذهب فإنك لا تعرفه. والخبر أمانة ومسؤولية، كذلك يجب الحذر من الأخذ بالظنون وحُسن الظن مفروض بين المسلمين كما يقول عمر بن الخطاب ﷺ: "لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك إلا خيرا وأنت تجد لها في الخير محملا "(١).

ولا بد في المجتمع واليقظة والحيطة خاصة في حالة الأمن أو الخوف، كما في حالة الحروب والأزمات، لأن خبر الأمن لمجتمع متربص قد يحدث له حالة من الاسترخاء والتفاؤل، ثم يصطدم بالأخبار غير المتوقعة، وخير الخوف في مجتمع آمن مطمئن قد يحدث بلبلة وخللا، وقد يؤدي إلى عدم الثقة في جدوى المجهودات العسكرية، وهذا بدوره يؤدي إلى إشاعة روح الهزيمة. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، فالآية تُنكر على من يُذيع الخبر دون تمحيص أو تحقيق، وقد لا يكون له أساس من الصحة "(٢).

"ومن واجب المسلم المتأدب بأدب القران العامل بسنة رسول الله ﷺ أن يتثبت، ولا يحكم بحكم، أو ينساق وراء شائعة كاذبة، أو وشاية مغرضة، ليأمن على نفسه من الوقوع في الظلم والافك والبهتان، لئلا يعرض نفسه للإثم، وإخوانه المسلمين للظلم وقالة السوء. ونظرا لكون خطر الأخبار الكاذبة الملفقة لا يأتي من جهة الفسق وخده، بل قد يكون عدلا وصادقا وأمينًا ومتحرياً للعدل، ولكنه لا يعرف كيف يتلقى الأخبار، ولا كيف يميزها ويمحصها، والناس في

(١) جاد، أحمد أحمد (١٩٩٣م) منهج القرآن في التثبت من الأخبار، تقديم مصطفى مشهور، الاسكندرية، دار الدعوة، ص١٧، ١٩.
(٢) جاد، أحمد أحمد، مرجع سابق، ص٤٧، ٤٨.

سماع وترويج الأخبار أنواع شتى ولهم طرق ومسالك متباينة وقد يكون الرجل متحريًا الصدق، عاملا به دالا عليه، ولكنه ذو غفلة، وليس لديه المقدرة الكافية في تميز الأخبار والأشخاص، فتُدس إليه الأخبار الكاذبة، وتنطلي عليه الإشاعات المغرضة، والدعاوي الماكرة، فينقلها إلى الغير عن حُسن نية، وسلامة قصد، فيقع في حبائل الكذابين والمفترين. وخير شاهد على ذلك مسألة حديث الافك، وما جرَّه اليهود والمنافقون على المسلمين، ونبيهم وزوجته من بلاء ومحنة، حيث أن التروي والتثبُّت وتمحيص الأخبار رجولة وفضيلة، وأنّ ضبط النفس، والتحكم فيها في مثل هذه المواقف، لهو من أقوى الدلائل على العقل والحيطة الدينية وحفظ للمودة والود، ومع الأسف الشديد فإن بعضًا من المسلمين ينساقون وراء الأخبار الكاذبة، والإشاعات المغرضة، وبعض منهم مطايا للافاكين والدجَّالين، فالكذابون مهرة ولهم طرق كثيرة ومسالك متعددة يقع بعض المسلمين في شركهم وحبائلهم وهو لا يشعر"[١].

سابعًا: إقامة حدود الله

إقامة حدود الله علامة إيمان ودليل طاعة ومنهج إصلاح، وقد أمر الله في القران الكريم بإقامة حدود الله في مواضع عديدة، فاقترنت بأحكام الصوم، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]، واقترنت بأحكام الطلاق ،قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾، ووردت بعد بيان أحكام الميراث قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٥]. وبعد حكام العِدَّة، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ

(١) العبد اللطيف، إبراهيم عبد الحليم، مرجع سابق، ص٢٣٧، ٢٣٨.
(٢) سورة البقرة رقم الآية (١٨٧)
(٣) سورة المجادلة رقم الآية (٤)
(٤) سورة البقرة رقم الآية (٢٣٠)
(٥) سورة النساء رقم الآية (١٣)

حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[١]، وتوعّد الله من تعدَّى حدوده، وأنذره نارًا تلظَّى، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٢].

أن الحرية هي أساس المسؤولية، والإكراه يعفي من المسؤولية، والإسلام قرر ذلك حتى في أمور العقيدة، فقال تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ.... ﴾[٣]، وعلى هذا الأساس أقام الإسلام الحدود على من يُسيء استخدام تلك الحرية، ويُسيء إلى الآخرين ويتعدى على حقوقهم.

"وقد شُرعت الحُدود صيانة للمجتمع من الشذوذ والانحراف لا إكراها على الفضيلة وحُسن الخُلق، فهو مجتمع يقوم على عقيدة ينبع منها خُلق، ويصونه نظام، وهذه الثلاثة مجتمعة متضامنة متناسقة تعمل على تربية المجتمع وتطهيره وصيانته، ففي جريمة الزنا (مثلا) يتخذ القرآن خطوات متكاملة لتطهير المجتمع منها، فيبدأ بالارتفاع بمقاييس الجمال، وتنظيف الإحساس به وتذوقه، ويفسح مجاله حتى يشمل الكون كله بعقيدته وناموسه وآياته، فيحس المؤمن بجمال العقيدة وجمال الحق والخُلق الكريم، ويتذوق جمال التناسق والكمال والتقدير، فيرقى ذوقه الجمالي، ولا يظل حبيسا في محيط الجنس، وينفر بحسه وكيانه وذوقه من الخلاعة والابتذال "[٤].

"وصوَّر الزنا في صورة منكرة كريهة، قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[٥]، وقرنه بالشرك والقتل، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ

(١) سورة الطلاق رقم الآية (١)
(٢) سورة النساء رقم الآية (١٤)
(٣) سورة البقرة رقم الآية (٢٥٦)
(٤) شديد، محمد، مرجع سابق، ص، ١٤٧- ١٤٨.
(٥) سورة الإسراء رقم الآية (٣٢)

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾[١]، واتخذ الوسيلة العملية للوقاية، فأمر بمعاونة الفقراء على الزواج، فقال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

"وحارب عوامل الغواية والإغواء، وسد منافذ الشيطان إلى النفس، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[٣]، وجعل من أمهات المؤمنين قدوة لنساء المجتمع بالسير على منهج الطهر والعفاف "[٤]. قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٥].

"وحذَّر من مجرد الرغبة في إشاعة الفاحشة في المجتمع، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٦]، وصان الأعراض من الافك، ففي مثل هذا المجتمع الطاهر النظيف لا يصح أن تُقال كلمة عن عرض إلا إذا كانت جريمة عليها بيّنة، ولهذا جاء حد القذف حازما شديدًا، جمع بين الجلد، وإسقاط الاعتبار، والتفسيق. فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[٧]، وبعد كل هذه

(١) سورة الفرقان رقم الآية (٦٨)
(٢) سورة النور رقم الآية (٣٢)
(٣) سورة النور رقم الآيات (٣١- ٣٢)
(٤) شديد، محمد، مرجع سابق، ص١٤٩.
(٥) سورة الأحزاب رقم الآيات (٣٢- ٣٣)
(٦) سورة النور رقم الآية (١٩)
(٧) سورة النور رقم الآية (٤)

الخطوات وبهد تطهير المجتمع من كل الشبهات، يأتي حد الزنا صيانة لهذا المجتمع من كل الشواذ والمنحرفين. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١] وعلى هذا النهج الذي تتداخل فيه آداب النفس، وآداب المجتمع وتتضامن العقيدة والخلق والتشريع، طهَّر القرآن المجتمع من كل الجرائم والآثام "[٢].

إن إقامة الحدود شرع شرعه الله تعالى لتنظيم المجتمع والحفاظ عليه والقضاء على الجرائم الاجتماعية والأخلاقية والمالية داخله، بالإضافة إلى فوائدها الأخروية، فهي مغفرة وتكفير للذنوب إذا اقترنت بالتوبة، فهي جزء من الشريعة الإسلامية لا يجوز التهاون في إقامتها بالكيفية التي شرعها الله، ولا بد أن تتحقق شروطها المعينة لإثبات الجريمة حتى يُقام الحد، ولذلك أقام رسول الله ﷺ الحد على ثلاثة من ثبتت عليهم، ولم يُقم على الباقين، وترك أمرهم لله تعالى.

ثامنًا: الحذر من الأعداء والمغرضين

أمر الله المؤمنين بأخذ الحذر من أعداء الداخل والخارج، ووضع في ذلك أوامر ونواهي، وقد فضح الله نواياهم في غير موضع من القران الكريم، ليحذِّر المؤمنين من موالاتهم، قال تعالى: ﴿ وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾[٣] وأخبر القران المؤمنين بان أهل الكتاب لن يرضوا عن المسلمين إلا إذا اتبعوا ملتهم، فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾. والكفار

(١) سورة النور رقم الآية (٢).
(٢) شديد، محمد، مرجع سابق، ص١٥٠- ١٥١.
(٣) سورة أل عمران رقم الآية (٧٣).
(٤) سورة البقرة رقم الآية (١٢٠)

من أعداء الخارج رد المؤمنين عن دينهم، قال تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ (١)، وكذلك أهل الكتاب، يود كثير منهم لو يردوا المسلمين عن دينهم. قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

وقد "أوضح القران وتبيّن من حديث الافك أن الأمة الإسلامية يجب أن تأخذ الحذر من أعدائها كلهم، وليس العدو من أشهر العداوة وحمل السلاح، بل قد يكون العدو الداخلي والمنتمي إلى الإسلام إفكا وزورًا، كحال المنافقين، أشد خطرا على الأمة من أعدائها المحاربين علنا، فهاهم المنافقون في كل وقت وحين، وحتى يومنا هذا، اشد عداوة للدعاة المؤمنين الصادقين من الكفار "(٣).

وقد "أتقن المنافقون الدعاية السيئة كأدق ما يتقن رجال السياسة الآن الدعايات المغرضة، وانتهزوا في ذلك ما جبل عليه بعض الناس من أقارب رؤساء المنافقين، كانوا ينظرون إلى أولائك الرؤساء بعين الإجلال والتعظيم، وكان لهم في هذا الصدد فنون دقيقة من شأنها إدخال الفشل على العقول، وتشويش الأمور على ضعفاء المسلمين، وإيقاعهم في الحيرة والاضطراب، ومن ذلك إذاعة أخبار الخوف وتربص الأعداء ونشر الأراجيف "(٤).

ولإقامة المجتمع الإسلامي المتماسك الذي وصفه رسول الله ﷺ بالبنيان المرصوص، ولإقامة المجتمع الإسلامي الحضاري القائم على الاحترام والثقة والتعاون والتكافل، ولإقامة الخلافة التي تحدَّث عنها القران الكريم ﴿وجعلكم خلائف في الأرض ﴾لإقامة كل ذلك لا بد من تحقيق أحكام الله في الأرض والتحلي بالصفات الأخلاقية، وإتباع الأخلاق الإسلامية التي

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢١٧)
(٢) سورة البقرة رقم الآية (١٠٩)
(٣) العبد اللطيف، إبراهيم، مرجع سابق، ص١٢١.
(٤) سالم، إبراهيم علي (١٩٦٩م)، النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ص، مصر، دار الشعب، ط٢، ص٤٠٥.

تمنع أسباب الخلل والضعف كانتشار الشائعات والأنانية والفردية والتسلُّط وحُـب الـذات، وان نستبدل بها العفة والعفاف، وإقامة حدود الله، والعدل والشورى، وغيرها من المفاهيم والأخلاق الإسلامية التي فيها خير المسلم دنيا وآخرة.

المبحث الرابع

دروس وعبر للدعاة من حادثة الافك

أولاً: الحكمة

وفي حادثة الإفك كانت مواقف أهل الإيمان مليئة باستعمال الحكمة والتعامل بها، ومن تلك المواقف:

من جانب النبي ﷺ :

١- كان ما فعله ﷺ مع زوجه عائشة - رضي الله عنها - حين كان يدخل عليها ويقول: «كيف تيكم؟ »، - هو- عين الحكمة في التعامل؛ لأنَّ فيه:" ملاطفة الرجل زوجته وحُسن المعاشرة"[١] فالداعية الحصيف لا تغيب عنه هذه الحكم في تعامله مع أهل بيته عند اشتداد البلاء ونزول المصائب.

٢- وفي هذا الموقف نفسه حكمة نبوية عظيمة من جهة أخرى، وهي: أنه إذا عرض للرجل عارض بأن سمع عن زوجه شيئا فإنه يقلل من اللطف ونحوه؛ لتفطن هي أن ذلك؛ لعارض؛ فتسأل عن سببه؛ فتزيله[٢].

٣- وفيه كذلك تطبيق نبوي عظيم للحكمة في الدعوة يستفيد منه الدعاة فائدة عظيمة، وهو: "السؤال عن المريض، والإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، فإذا كان السبب محققا فيُترك أصلاً، وإن كان مظنونًا يخفف، وإن كان مشكوكًا فيه، أو محتملاً فيُحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل، بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه؛

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٧/١٧).
(٢) المرجع السابق (١١٧/١٧).

لأن ذلك من خوارم المروءة"[١].

٤- وتأمل حكمة النبي ﷺ في اختياره من يستشيرهم في أمر فراقِ زوجته عائشة - رضي الله عنها -، حيث كان الموقف يتطلّب صراحة وجرأة، فاختار ص شابين هما: علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد -رضي الله عنهما -، "وذلك أن للشاب من صفاء الذهن ما ليس لغيره، ولأنه أكثر جرأة على الجواب بما يظهر له من المسن؛ لأن المسن غالبًا يحسب العاقبة فربما أخفى ما يظْهر له رعايةً للقائلِ تارةً والمسؤول عنه أخرى"[٢].

٥- والموقف نفسه أبرز حكمةً أخرى من حكَمِ النبي ﷺ، فلم ينفرد برأيه مع أنه أكمل الخلق رأيًا وأصوبهم قرارًا، بل استشار في الأمر أقرب الناس منه، ومن له الفضل، واستشار من هو دونه وأصغر منه، وهذا الأمر يدل على أهمية استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب، واستشارة الأعلى لمن هو دونه.

٦- كما يَبْرُز لنا جانب آخر من الحكمة النبويّة في هذه الحادثة، وذلك في تعامله ﷺ مع المواقف الحرجة، فعندما ردَّ أسيد بن حضير على سعد بن عبادة -رضي الله عنهما- بقوله: "كذبت - لعمر الله-، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين"، تَرَك النبي ﷺ الإنكار على أسيد بن حضير رضي الله عنه ؛ لأن أسيدًا لم يُرِد نفاق الكفر، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس ثم ظهر منه في هذه القصة ضد ذلك، فأشبه حال المنافق؛ لأن حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره، ولعل هذا هو السبب في ترك إنكار النبي ﷺ عليه.

٧- وفيما فعله ﷺ من إشارته للصحابة رضي الله عنهم بالسكوت حين تثاور الأوس والخزرج، استخدام للحكمة في الدعوة، وهي "قطع الخصومة، وتسكين ثائرة الفتنة، وسد ذريعة ذلك،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٩/٨).
(٢) المرجع السابق (٤٦٩/٨).

واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما" [١]، وهذا الفعل هنا متضمن لأعلى مراتب الحكمة، حيث وقع بسببه إطفاء نار الفتنة التي كادت تُحرِق المجتمع المؤمن بأسره.

٨- وفي تبشير النبي ﷺ عائشةَ ببراءتها حكمة دعوية عظيمة، وهي: "تبشير من تجددت له نعمة أو اندفعت عنه نقمة، والضحك والفرح والاستبشار عند ذلك، ومعذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه" [٢].

٩- وفيه أيضًا حكمة دعوية عظيمة أخرى، هي: "تدريج من وقع في مصيبة فزالت بعد ﷺ عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهله فُيهلكه، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك، ثم تبشيرها، ثم إعلامها ببراءتها مجملة، ثم تلاوته الآيات على وجهها، وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يُمكّن من المبالغة في الري في الماء؛ لئلا يفضي به ذلك إلى الهلكة بل يجرّعُ قليلاً قليلا" [٣].

من جانب أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -:

١- كان من تعاملها بالحكمة: احترازها مما قد يُفْهمُ من لفظها على غير الوجه الذي أرادت، يتضح ذلك في قولها عن صفوان بن المعطل رضي الله عنه لما حملها على بعيره: "والله ما يُكَلِّمني كلمةً"، حيث عبّرت بالفعل المضارع "إشارةً إلى استمرار ترك الكلام، وتجدد هذا الاستمرار، فإنّه قد يُفْهمُ مِن التعبير بالماضي اختصاص النفي بحالة، بخلاف المُضارعِ" [٤].

٢- وفي قولها - رضي الله عنها -: "فإن قلت لكم إني بريئة -والله يعلم أني لبريئة-؛ لا تصدقوني بذلك! ولئن اعترفت لكم بأمر -والله يعلم أني منه بريئة-؛ لتصدقونني! "، تعاملٌ بالحكمة يستفيد منه المؤمنون عامّةً، والدعاة خاصّةً، وهي: أنه "لا يجب لأحد أن يعترف على نفسه بما لم

(١) المصدر السابق (٨/٤٨٠).
(٢) انظر: المصدر السابق (٨/٤٨١).
(٣) انظر: المصدر السابق (٨/٤٨١).
(٤) طرح التثريب (٨/٢٦٠).

يفعله وإن عِلمَ أنه في إنكاره يُكَذّب وفى اعترافه يُصَدّق لقرينة تدل على ذلك، بل لا يجب أن لا يقول إلا الحق"[١]، وكذلك تُرشِد بفعلها إلى "أن الاعتراف بما فشا من الباطل لا يَحلُّ ولا يَجْمُلُ"[٢].

من جانب الصحابة ﷺ:

١- أبرز صفوانُ بن المعطل ﷺ التعاملَ بالحكمة في المواقف الحرجة بما يناسب الحال، وذلك حين رأى أم المؤمنين عائشة - ﷺ - في الخلاء وحدها، فإنه لم يوقظها بندائه لها أو تكليمه إياها؛ صيانةً لحرمة النبي ﷺ، بل استرجع ورفع صوته بالاسترجاع حتى استيقظت بسبب ذلك، كما قالت: "فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني".

٢- وكان من التعامل بالحكمة من على بن أبي طالب ﷺ أنّه قام إلى بريرة - ﷺ - فضربها ضربًا شديدًا، وجعل يقول: أُصدقي رسول الله ﷺ ؟، فتقول: والله لا أعلم إلا خيرًا، وما كنت أعيب على عائشة إلا أني كنت أعجن العجين فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله. فأظهر هذا الفعل من ذلك الصحابي الجليل أن من الحكمة استخدام شيء من السياسة في بعض المواقف التي تقتضيها للوصول إلى الغاية الشرعية الحميدة[٣].

٣- ومن التعامل بالحكمة لدى بريرة - ﷺ - أنها لما أرادت بيان ما في عائشة - ﷺ - من عيب (وهو نومها عن العجين) لم تبادر بذكر العيب، بل قدّمت لها العذر (وهو أنها حديثة السن)؛ مما يقتضي أن يكون ذلك العيب ليس عيبًا على الحقيقة؛ لأنه من طبيعة الإنسان في ذلك العمر[٤].

٤- ومما تتابع عليه أكثر الصحابة من التعامل بالحكمة: "أن يستر عن الإنسان ما يقال فيه إذا

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٩٩/٨).
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٠/٨).
(٣) انظر: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام (٢٦٢/٤
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٨٠/٨).

لم يكن في ذكره فائدة، كما كتموا عن عائشة - رضي الله عنها - هذا الأمر شهرًا"[1]

ولقد كان التعامل بالحكمة ظاهرًا تمام الظهور في ذلك المجتمع المؤمن الذي هو محل الاقتداء والتأسي لكل داعية إلى الله، وكان في مواقفهم جملة من المواعظ والدروس والعبر،

منها:

١- قراءة سيرة النبي ﷺ وسيَر الصحابة الفضلاء، والتأمل في ردود أفعالهم في المواقف التي يتعرضون لها في العسر واليسر؛ من أعظم الموارد التي يستنبط منها الداعيةُ أسلوبَ الحكمة في الدعوة تقعيدًا وتعلُّما وتعليمًا وتطبيقًا.

٢- من أقوى عوامل نجاح الدعوة إلى الله تعالى اهتمام الداعية بأسلوب الحكمة في دعوته في مختلف الأحوال والظروف بحسب ما تقتضيه كل حال.

٣- حين يتحّلى الداعية بأسلوب الحكمة في دعوته فإنه يجني ثمارًا عظيمةً من خلال محبّة المدعوين له، ورسْمِ صورة مُشرِقَة للدعوة ومن ينتسِب لها.

٤- الداعية وهو يقرأ هذه المواقف العصيبة التي مرَّت على النبي ﷺ، وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، وبقيّة الصحابة الفضلاء رضي الله عنهم.

في حادثة الإفك؛ يرى أن تعاملهم معها بأسلوب الحكمة كان دائمًا ومستمرًا مهما اختلفت بهم الأحوال، ولذلك فعليه أن يُعِدّ نفسه - وهو في مجال الدعوة إلى الله- لاستخدام أسلوب الحكمة لو قَدّر الله عز وجل عليه موقفًا يقارب تلك المواقف العصيبة في حادثة الإفك.

ثانيًا: الموعظة الحسنة

وفي حادثة الإفك استعمل النبي ﷺ أسلوب الموعظة مع زوجه وحبيبته عائشة رضي الله عنها -

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٧/١٧).

فقال: "أما بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب؛ فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب؛ تاب الله عليه"، ففي هذا الموقف استعمال أسلوب الموعظة الحسنة، وقد اشتمل على عدد من القواعد التي تجعل هذا الأسلوب من أنفع الأساليب الدعوية وأجملها:

١- من الأدب الرفيع في إلقاءِ الموعظة: مراعاة شعور المدعو، والحرص على وصول المراد إلى قلبه بأجمل وأكْملِ أسلوب؛ لتتم الفائدة المرجوة من طرح الموعظة عليه، وهذا ظاهر في قوله ﷺ: "كذا وكذا"؛ فإن فيه عدم التصريح بما رميت به عائشة - رضي الله عنها - من الإفك، والاقتصار على الكناية عن ذلك[١].

٢- أنَّ الموعظة إذا كانت تُلقى على من كان معروفًا بالخير والصلاح، أو عدم الوقوع في الموبقات والكبائر، أو لم يكن له سابقة في الوقوع في ذلك الأمر الذي يُوعَظ فيه، أو لم يكن من عادته الوقوع فيه؛ فإنه ينبغي - في أثناء إلقاء الموعظة عليه- مراعاة ما يأتي:

أ- حُسْن الظن به، وعدم تجريحه بما لا يحسن أو يليق، وعدم حمْله المحمل السيئ الذي يُسقِط ماضيه الطيّب، فالنبي ﷺ لم يظُنّ بزوجه - التي يعظها في هذا الموقف- سُوءًا قطّ - وحاشاه وحاشاها- [٢] بل إنه شهد لها بالخير لما استعذر من أهل الإفك فقال: "من يعذرني في رجلٍ بلغني أذاهُ في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي".

ب- عدم تركه دون موعظة حتى وإن كان ماضيه يشفع له أو يشهد له بالصلاح، فإن النبي ﷺ - مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءة زوجه عائشة التي يعظها في هذا الموقف، وما

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٥/٨).
(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٦٣/٣).

كان عنده من القرائن التي تَشْهد ببراءتها أكثر مما عند المؤمنين- لم يشهد ببراءتها [١]، بل وعظها وذكّرها بالله.

٣- أن يُضمّن الداعية موعظته بما يناسب حال المدعو من أعمال القلوب كالخشية من الله أو رجاء ثوابه أو التوكل عليه أو الاستعانة به ونحو ذلك، فالنبي ﷺ في موعظته لعائشة - رضي الله عنها - قال لها: "فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله"، "أي: بوحي ينزله بذلك قرآنا أو غيره" [٢]، فضمّن موعظته حسن الظن به سبحانه ورجاء نصره وفرجه. وكان لذلك أثرٌ عظيم في نفس عائشة - رضي الله عنها -، فقد فَهِمت مِن موعظة النبي ﷺ لها أنَّ المرء إنْ كانَ بريئًا مما يُتّهم به فإنَّ ربّه سبحانه وتعالى الذي يراه في خَلوته لن يخذله حين يتوكلُ عليه ويرجو نصره ويحسن الظن به، ولذلك قالت: "ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي".

٤- توجيه المدعو إلى ما يصلح حاله وينفعه في مخالفته التي وقعت منه، ومن ذلك أن يستر على نفسه ولا يفشي وقوعه في المعصية للناس، مع ندبه للتوبة بينه وبين ربّه،، كما في قوله ﷺ: «وإن كنتِ ألممت بذنب؛ فاستغفري الله وتوبي إليه»، فـــــ" أمرها أن تستغفر الله وتتوب إليه (أي: فيما بينها وبين ربها) "[٣].

٥- تعظيم جانب الرجاء في مغفرة الذنوب لدى المدعو، وعدم تقنيطه من رحمة الله ﷻ كما في قوله ﷺ: «فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب؛ تاب الله عليه».

هذه فوائد عظيمة من موقفٍ واحد استعمل فيه النبي ﷺ أسلوب الموعظة الحسنة، وفيه أيضًا فوائد ودروس أخرى، منها:

١- أنَّ المواقف الحرجة يجب أن لا تؤثر في الداعية تأثيرًا سلبيًا وهو يقدّم الموعظة للمدعو

(١) المصدر السابق (٢٦٣/٣).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٥/٨).
(٣) المصدر السابق (٤٧٧/٨).

فتأملْ كيف أنَّ النبي ﷺ في هذا الموقف البالغ في الصعوبة غايته لم تتأثر شخصيّته، بل كانت موعظته ﷺ في غاية الكمال.

٢- كانت موعظة النبي ﷺ بليغة التأثير، غزيرة الفوائد، فحريٌّ بالدعاة الوقوف عندها، وتأملها؛ ليستفيدوا منها في واقعهم الدعوي.

٣- الموعظة الحسنة بالغة التأثير في المدعوين، فينبغي للدعاة الاعتناء بها تعّلما وتعليما.

٤- أعظم ما يقوّم الداعية إلى الله تعالى نظره في طريقة الأنبياء - عليهم السلام- في دعوتهم، ومنها الموعظة الحسنة التي كانت مطَّردةً في دعوتهم.

٥- يُدرِك الداعية إلى الله تعالى عظيم أهميّة وأثرِ الموعظة الحسنة من خلال موقف النبي ﷺ مع زوجته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حين وعظها تلك الموعظة البليغة، وكيف أنها أّثرت في نفس أم المؤمنين. فالداعية لا يغفل عن هذه المثل والفوائد العظيمة، فحين يقف واعظًا لمن كان يمر بظرف مقارب لهذا الموقف العصيب الذي ابتليت به أم المؤمنين، فإنّه يتمّثلُ بقيمِ موعظة النبي ص فيراعي نفسيّة المبتلى، ويعظّم في نفسه حسن التوكلِ على الله ﷻ، ويندبه لستر نفسه، ويرغّبه في رحمة الله ﷻ وعظيم مغفرته.

ثالثًا: ضرب المثل

وفي حادثة الإفك: اشتد الكرب بأمِّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: فأهل النفاق اختلقوا فيها الإفك وأشاعوه، وبعض الصحابة أخطأوا فخاضوا فيه، والوحي قد انقطع نزوله من الله على نبيه ﷺ شهرًا كاملاً، والنبي ﷺ أمامها يعظها ويذكّرها بالله ويطلب منها إعلان براءتها أو التوبة إلى الله، وأبواها لم يطيعاها في الإجابة عنها؛ وأمام هذه الشدائد المتتالية، وذلك الموقف العصيب؛ لم تجد من الكلمات والأساليب ما يعبّر عن مكنون فؤادها، ويصوّر واقع حالها، إلا ضرب المثل فقالت: "والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذْ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا

تَصِفُونَ﴾"[1]، و"قولها "إلا أبا يوسف" أي: إلا مثل يعقوب - عليه السلام -، وهو الصبر، وكأنها من شدة حزنها لم تتذكر اسم يعقوب، وإنما قالت أبا يوسف لأنه لما جاء إخوة يوسف أباهم يعقوب ومعهم قميص يوسف بدمٍ كذب قال يعقوب: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾"[2] فجاء ضرب المثل منها في هذا الموقف مُعبرًا عن فقهها ومعرفتها بكتاب الله وما فيه من أعظم الألفاظ والتراكيب والأساليب، ودالاً على أن ضرب المثل يبلغ من القوة والجزالة والأهمية واشتمال المعاني المرادة وإيصال المقصود ما تبلغه العبارات الطويلة والكلمات الكثيرة، ومبرِزًا أهمية المثل في هذا الموقف أو ما كان مثله أو نحوه، ومصورًا حالها وموقفها لمن كان في ذلك المجلس أبلغ تصوير وأحسنه، فقد حوى استدلالها بهذا المثل شيئاً عظيماً من المعاني، ومنها:

١- أن يعقوب عليه السلام نبي من أنبياء الله، وقد حصل له بلاء شديد، فنعم الأسوة هو لها في هذه المحنة التي أصابتها.

٢- أنه إذا كان أنبياء الله - وهم أحب الخلق إليه- يقع لهم من البلاء والكرب والشدة ما فيه فقد الولد وتكالب الأبناء على أبيهم؛ فكيف بغيرهم؟.

٣- أن أبناء يعقوب عليه السلام تآمروا على أخيهم يوسف، واتفقوا على إخفاء فعلتهم عن أبيهم، واستدّلوا بقميص يوسف استدلالاً فيه تمويه، وهذا هو ما وقع لها في الإفك؛ فالمنافقون تآمروا عليها بالإفك والبهتان لأذية النبي ﷺ، وأخفوا حقيقة باطنهم وأهدافهم عن المسلمين، وموّهوا باطلهم وأثاروا الشكوك بالاستدلال بمجيء عائشة إلى الجيش وهي راكبة على بعير صفوان، هذا مع التنبيه على أن المشابهة هنا إنما هي بالنسبة إلى مجرّد الفعل، مع الاختلاف العظيم بين الطرفين؛ فإخوة يوسف مؤمنون، والمنافقون من أهل

(١) سورة يوسف، آية رقم (١٨).
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٣١/١٣).

الكفر.

٤- أن الدليل الذي جاء به إخوة يوسف على صحة كلامهم (وهو قميص يوسف) لم يجعل نبي الله يعقوب عليه السلام يصدقهم، وكذلك ينبغي أن لا يصدق المؤمنون ما أثير من الإفك على عائشة مهما زيّنه المنافقون واستدلوا عليه.

٥- أن يعقوب عليه السلام بعد أن أصابه من الكرب ما أصابه بسبب فقده أحب أبنائه إليه صبر على قضاء الله وقدره ولم يجزع، وكذلك أم المؤمنين صبرت على ما أصابها من البلاء.

٦- أن يعقوب عليه السلام واجه ما فعله أبناؤه من التآمر على ابنه يوسف بالاستعانة بالله سبحانه والالتجاء إليه، وكذلك أم المؤمنين تستعين بالله سبحانه على ما وصفها به أهل الإفك من الزور والبهتان.

لقد كان في موقف أم المؤمنين عظة وعبرة للدعاة إلى الله تعالى، ومن الدروس المستفادة منه ما يأتي:

١- ضرب المثل من أقوى الأساليب الدعويّة تأثيرًا في المدعوين؛ لأنّه يقرِّب الفهْم من خلال القياس بين صورتين، فيزيل بذلك اللبس المحتمل في نفس المدعوين، ويخاطَب به العقل والعاطفة في آنٍ واحد.

٢- من أعظم ما يفيدُ الداعية إلى الله تعالى في معرفة أفضل وأكمَلِ طرائق ضرب المثل: كثرةُ قراءته للقرآن الكريم والسنة النبوية وتدبّره فيهما.

٣- الداعية إلى الله تعالى وهو يتأمّلُ موقف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في ضربها للمثل، وما اشتمل عليه ذلك من المعاني العظيمة؛ يعلم أنه قد يؤثر في المدعو بالمثل ما لا يؤثر فيه بالكلام المسترسل، وهذا يحدوه إلى ضرورة استعمال هذا الأسلوب الدعوي في مختلف المواقف والأحوال.

رابعًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفي حادثة الإفك:

١- اشتملت الآيات الواردة في الحادثة على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال ذب المسلم عن المسلم، خصوصا من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً﴾[١] فـ"أوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلا يقذف أحدا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه"[٢]، وفي "عطْف قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ تشريعٌ لوجوب المبادرة بإنكار ما يسمعه المسلم من الطعن في المسلم بالقول كما ينكره بالظن، وكذلك تغيير المنكر بالقلب واللسان"[٣].

٢- وبعد انجلاء الفتنة بترول الوحي ببراءة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ظهر تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال "أمر رسول الله ﷺ بمن صرّح بالإفك فحُدّوا ثمانين ثمانين.

وكان من الدروس الدعوية العظيمة المستفادة من تلك المواقف التي ظهرت فيها أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ما يأتي:

١- ينبغي للداعية إلى الله أن يحرص على هذا الأسلوب العظيم في جميع جوانب الدعوة، كما ينبغي له أن يغرس هذه الشعيرة العظيمة في نفوس المدعوين.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له قواعد وضوابط وأصول لا بد للداعية من مراعاتها؛ لتكون دعوته وفق ما جاء به الكتاب والسنة، ومنها:

---

(١) سورة النور، آية رقم (١٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٢/١٢).
(٣) التحرير والتنوير (١٧٥/١٨).

❖ أن يكون عالمًا بأن ما يأمر به قد دل الشرع على أنه معروف، وبأن ما ينهى عنه قد دل الشرع على أنه منكر، وهذا يتطلب منه الحرص على طلب العلم والرسوخ فيه ليكون أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر على بصيرة وعلم.

❖ أن يفقه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتب ودرجات وأصناف، وهي: اليد واللسان والقلب، ويعلم شروط وأحوال كل مرتبة.

❖ أن يفقه أن المعروف درجات، وكذلك المنكر، فيعنى عناية فائقة بالأمر بأعظم معروف وهو التوحيد وما يتصل به، وبإنكار أعظم منكر وهو الشرك وما يتصل به.

❖ أن يجعل تعامله مع المدعوين - في أثناء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر- شدة ورحمة، وترغيبًا وترهيبًا، وإجمالاً وتفصيلاً، بحسب حال المعروف الذي يريد أن يأمر به، وحال المنكر الذي يريد أن ينهى عنه، فيفرّق بين الجاهل والساهي والمخطئ والعارف والمعاند والموافق والمخالف والداعية إلى الباطل والمغرور به وغير ذلك.

❖ أن يفقه باب المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك يتطلب منه أمرين: العلم الشرعي الصحيح المبني على الكتاب والسنة، وأخذ الخبرة عن أهل العلم الراسخين والرجوع إليه وسؤالهم.

٣- هذه المواقف التي مرّت بالنبي ﷺ وزوجه عائشة - رضي الله عنها - والصحابة رضي الله عنهم في حادثة الإفك؛ تجّلت فيها فوائد عظيمة في طريقة التعامل مع المعروف أو المنكر في حال الاشتباه أو التأكّد، أو حال الابتلاء بمواقف تدعو إلى الشك والريبة، فالداعية وهو يقرأ هذه المواقف يهيئ نفسه للتعامل مع أحوالٍ تكون مثل ما كان في تلك المواقف أو قريبًا منها، وذلك بمعرفة ما ينبغي أن يسلكه من درجات ومراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تلك الأحوال.

خامسًا: الترغيب والترهيب

وفي حادثة الإفك: جاء أسلوب الترغيب والترهيب في أكثر من مناسبة وموقف، ومنها:

١- رغّب الله ﷻ عباده المؤمنين بما قدّره من الخير العظيم بسبب هذا الإفك، فقال: ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [١] فبيّن سبحانه لهم عظيم الأثر المترتب عن الإفك "لرجحان النفع والخير على جانب الشر" [٢]، و"لأن الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم" [٣]. ورهّب سبحانه تلك الفئة الخائضة في الإفك بعذابه الأليم فقال: ﴿ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ﴾ يعني: من العصبة الكاذبة ﴿مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ﴾ أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: عبدالله ابن أبي بن سلول، والعذاب الأليم هو في النار في الآخرة" [٤].

٢- جمع سبحانه لعباده المؤمنين بين الترغيب والترهيب في قوله: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٥]. فالترغيب: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ فرغّبهم في قبوله سبحانه توبتهم وإنابتهم إليه في الدنيا، وفي عفوه عنهم لإيمانهم بالنسبة إلى الدار الآخرة [٦]. والترهيب: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فرهّبهم مما فعلوه ومن العودة إلى فعله.

٣- ورهّبَ سبحانه وتعالى من جملةٍ من الأعمال التي وقعت من بعض المؤمنين فقال: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾ [٧] "يقول: وتلقِّيكم ذلك كذلك وقوُلكموه بأفواهكم، عند الله عظيم من الأمر؛

---

(١) سورة النور آية رقم (١١)
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩٨/١٢).
(٣) معالم التنزيل (٢٢/٦).
(٤) المرجع السابق (٢٣/٦).
(٥) سورة النور، آية رقم (١٤).
(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٨/٦)
(٧) سورة النور، آية رقم (١٥).

لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله ﷺ وحليلته"[١].

٤- ورهّب الله ﷻ عباده من قول الإفك والخوض فيه بما يتضمنه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، "يقول تعالى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدّقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا، بالحدّ الذي جعله الله حدًا لرامي المحصَنات والمحصنين إذا رموهم بذلك، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرًا على ذلك غير تائب "[٣].

٥- ورغّب سبحانه في فعل الخير والعفو والصفح عن المسيء، فقال: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤]، "يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها؟ ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لذنوب من أطاعه واتبع أمره، ﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها وتابوا إليه من فعلها"[٥].

٦- ورهّب الله ﷻ من تُسولُ له نفسه أن يتعرض لأعراض المؤمنات العفيفات البريئات بالقذف والرمي بالزنا، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٦] و"هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات - خرج مخرج الغالب- المؤمنات. فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق -رضي الله عنها-. وقد

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١٨/١٧).
(٢) سورة النور، آية رقم (١٩).
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١٩/١٧).
(٤) سورة النور الآية رقم (٢٢)
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٢٤/١٧).
(٦) سورة النور، آية رقم (٢٣)

أجمع العلماء، رحمهم الله- قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن" [١]، ومعنى الآية: ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ يقول: أبْعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ﴿ وَلَهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وذلك عذاب جهنم" [٢].

"ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة - رضوان الله عليها-، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام ما ارتكب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه؛ ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مُفتنة، كل واحد منها كافٍ في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الآيات الثلاث: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [٣] الى قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾، لكفى بها حديثًا: جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعًا، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الذي هم أهله حتى يعلموا عند اللهّ أنَّ اللهَّ﴿ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ فأوجز في ذلك وأشبع، وفصّل وأجمل وأكّد وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة" [٤].

لقد كان من الدروس الدعوية المستفادة مما سبق ذكره ما يأتي:

١- الترغيب والترهيب من الأساليب القرآنية والنبوية، فعلى الدعاة إلى الله أن تكون صلتهم بالقرآن والسنة عظيمة لمعرفة مزايا هذا الأسلوب وفوائده وطرقه واستعمالاته، وأن يحرصوا على الاعتناء باستخدامه في المجال الدعوي.

٢- من أنفع الأساليب الدعوية وأقواها تأثيرًا في نفوس المدعوين: أسلوب الترغيب

(١) تفسير القرآن العظيم (٣١/٦).
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٢٦/١٧).
(٣) أخرجه البخاري (٤٤/٢) رقم (١٠٤٧).
(٤) البحر المحيط (٤٠٥/٦).

والترهيب.

٣- الداعية إلى الله تعالى يتأمل في تلك الأعمال التي ورد فيها الترغيب أو الترهيب في حادثة الإفك، فيربّي نفسه على أمرين:

أولهما- الحرص على جميع الأعمال التي ورد فيها الترغيب، والابتعاد عن كل ما ورد فيه الترهيب.

وثانيهما- أن ينظر إلى ما هو واقع في مجتمع المدعوّين من تلك الأعمال، فيستخدم فيها أسلوب الترغيب والترهيب كما جاء في القرآن الكريم.

سادسًا: الخطابة

وفي حادثة الإفك: بلغ البلاء بالنبي ﷺ ذروته، فهو يسمع القالة الخبيثة في أهله تنتشر بين المنافقين، والوحي قد انقطع عنه شهرًا كاملاً، فقام من يومه على المنبر فاستعذر ممن تكلم في أهله بالإفك، وقال - وهو على المنبر-: «يا معشر المسلمين، مَن يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»، لقد صعد المنبر ليخبر أصحابه ﷺ بأذيّة رأس النفاق له، ولزوجه الطاهرة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، ولصاحبه المفترى عليه صفوان ابن المعطل رضي الله عنه ، فيتضّح من هذا السلوك النبوي الحكيم عِظَمَ فعالية الخطابة وتأثيرها القويّ في نفوس المدعوين.

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التلميح دون التصريح في خطبته - مع أنَّ الأمر كان في غاية الخطورة لأن ذلك كان هو الأسلوب الأمثل في هذه الحال، كما أنّه ﷺ بيّن بفعله - ما يجب أن يكون عليه الخطيب من هدوء واتزان إذا اضطرب عليه الناس في أثناء خطبته أو حدث ما يشوّش عليه.

وقد جعل أهل العلم من فوائد حديث الإفك: "خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم"[١]

لقد كان من الدروس الدعويّة المستفادة من هذا الموقف:

١- الخطابة وسيلة دعويّةٌ لها أبلغ التأثير في نفوس المدعوين، وتحتاج من الداعية أقصى درجات الاهتمام في تعلّمِ طرائق التأثير من خلالها، ولا يتأتى هذا الأمر إلا بالاطلاع على أساليب النبي ﷺ في خطبه.

٢- من أعظم سمات الخطيب الناجح هدوءه وحِلْمه عند اضطراب الأمر عليه أثناء خطبته.

٣- على الداعية أن يراعي ما يناسب الخطبة ويرتقي بها ويحقق فيها أعظم أسباب النجاح من حيث الأسلوب ومراعاة الحال والمدعوّين واختيار الألفاظ والأساليب وغير ذلك.

٤- الداعية إلى الله وهو يقرأ في حادثة الإفك ما فعله النبي ﷺ من اعتلاء المنبر والخطابة في الناس؛ يتخذ ذلك منهاجًا له في الأمور العظيمة التي تتطلب منه إعلان التوجيه وإيصاله للناس عن طريق هذه الوسيلة.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٧/١٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على إمام الدُّعاة، ومُعلِّم الناس الخير، محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وبعد:

في ختام هذا البحث يود الباحث أن يحمد الله على توفيقه وعونه على أن يسّر- إكمال هذا البحث، ويأمل أن يكون قد وفق في إبرازه بالشكل المطلوب، وأن يكون قد قدَّم عملاً نافعا يستفيد به كل قارئ له.

لقد تضمن هذا البحث دراسة لحادثة الافك، ومحاولة استنباط الدروس والعبر المتضمنة في تلك الحادثة، ومن خلال الدراسة أمكن التوصل إلى أن هذه الحادثة تتضمن العديد من الدروس والعبر للفرد والأسرة والمجتمع والدعاة.

وفي سبيل الوصول إلى استنباط تلك الدروس والعبر، تم تقسيم البحث إلى **المقدمة** وتضمنت أهميّة الدراسة وسبب اختيار الموضوع، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة ذات الصلة،، ومنهج الدراسة.

أما **الفصل الأول** فقد احتوى على مبحثين، تناول المبحث الأول تعريف الافك لغة واصطلاحا، أما المبحث الثاني فقد خُصص للتعريف بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، اسمها ونسبها ومولدها ووفاتها وزواج النبي ﷺ بها وفضلها وصفاتها وما تميزت به، وعظيم أُنس النبي ﷺ بقربها وحكم سبّها.

والفصل الثاني أحتوى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول الافك كما ورد في نصوص الكتاب والسنة، والمبحث الثاني تناول أسباب خوض المنافقين في الإفك، وتطرق المبحث الثالث أهداف المنافقين في قصة الإفك.

أما **الفصل الثالث** والأخير وتضمَّن أربعة مباحث، تناول المبحث الأول دروس وعبر من

حادثة الافك خاصة بالأفراد، بينما تناول المبحث الثاني دروس وعبر من حادثة الافك خاصة بالأسرة، أما المبحث الثالث فقد تطرَّق دروس وعبر من حادثة الافك خاصة بالمجتمع، والمبحث الرابع بيّن دروس وعبر للدعاة من حادثة الإفك.

وخير ما يختم به الباحث بحثه أن يسأل الله ﷻ أن ينفع بهذا العمل، ويجعله في ميزان حسناته يوم القيامة، وينفع به أمة الإسلام، فيكون طريقا للفضيلة والعفَّة والطُّهر.

كما يسأل الله تعالى الصفح والعفو عن التقصير والنقص والعيب، فإنها من طبيعة الإنسان، ولم يكن هذا تعمدا وإنما هو نسيان.

والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

النتائج

إن أهم النتائج التي خلص الباحث إليها من خلال فصول الدراسة السابقة يمكن إيجازها في النقاط التالية:

٤- إن محنة الافك وإن كانت قاسية وشرا وبلاء في ظاهرها، إلا أن فيها الكثير من الخير والرفعة للرسول ﷺ وصحابته والمجتمع المؤمن، حيث فضح الله تعالى بها المنافقين، وأظهر خطرهم لعامة المسلمين، وهي ابتلاء من الله تعالى لرسوله ص ولصحابته الكرام، ليس الغرض منه الغضب أو العقاب، وإنما الغرض منه اختبار وامتحان قلوبهم وإيمانهم ورفع درجاتهم وتكفير ذنوبهم.

٥- إن حادثة الافك أبرزت منهجًا إسلاميًا فريدًا في كيفية مواجهة الشائعات، ومحاربة مروّجيها، حيث جاء الإسلام بالتحذير من اللغو والحث على حفظ اللسان، فهي درس خُلُقي للمجتمع المسلم يهدف إلى تربية مسلم ينشأ على الخلق الإسلامي لتقومي السلوك الفردي والأسري والمجتمعي.

٦- بيَّنت حادثة الافك حكمة رسول ﷺ وبراعته في تصريف الأمور والقضاء على الفتنة التي كادت تقع في المجتمع المدني في ذلك الوقت، كما بيّنت قدرته ص على التعامل مع الناس في ظل هذه الفتنة ومواجهتها ومعالجتها.

٧- أظهرت الحادثة الجانب الإنساني في شخصية رسول الله ﷺ، وان الوحي من عند الله تعالى وليس من عنده ﷺ، وأنه لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله تعالى عليه، وفي ذلك رد على شبهات المرجفين والمشككين حول هذه القضية.

٨- براءة السيدة عائشة ﵂ مما نُسب إليها إفكًا وزرًا، وأن من اتهمها من ذلك في أي زمان من الأزمان بعد نزول آيات الافك إنما هو كاذب أفّاك، بل كافر مُحاسب من الله تعالى، وأن حادثة الافك إنما هي فضيلة فُضَّلت بها أم المؤمنين عائشة ﵂ حيث ظهرت من خلالها عفتها وطهرها وعِظم مكانتها عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ.

٩- استخلاص صفات الزوجة والمرأة المثالية من خلال حياة عائشة ﵂ وصفاتها ومن خلال كيفية مواجهتها وسلوكها تجاه الأقاويل التي أُثيريت حولها.

١٠- بيان دور المنافقين الكبير في إشاعة حادثة الافك، ومحاولاتهم المستمرة لإحداث الفُرقة والاختلاف في صفوف المسلمين، ومحاربتهم، وهزيمتهم نفسيا وأخلاقيًا، وذلك بالتشكيك في قدوتهم الأولى، السيدة عائشة ﵂.

١١- هناك أعداء يعيشون بيننا يسوؤهم تقدم أهل الإسلام ويفرحهم كل الم يصيب أهل الخير وأهل الفضل والعلم والدعوة.

١٢- بيّنت آيات الافك أهمية التثبت من الإخبار، وأنه لا بد من التأكد من كل ما يقال، وأن المسلم الحق لا بد أن ينأى بنفسه عن أن يكون وسيلة من وسائل نقل الشائعات، ويظهر هذا من خلال موقف الإسلام من الغيبة والنميمة، ونهيه الشديد عنهما.

١٣- التكافل الاجتماعي من الدروس التي أشارت إليها الحادثة، فإنه لا يخفى على احد أهمية هذا المبدأ في نشر الإخاء والمودة بين الأفراد، وتحقيق المساواة في المجتمع.

١٤- قررت حادثة الافك قاعدة إسلامية أساسية تعتبر المحور الرئيسي للعلاقات الاجتماعية ة هي حُسن الظن بالآخرين، فحثَّت على أن يظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيرا وأن يحملوا الأمور على ظاهرها، وأن يتركوا أمر النيات إلى الله تعالى.

١٥- عناية الإسلام الشديدة وحرصه على نشر الأخلاق الإسلامية بين الأفراد، واثر التعامل بها في غرس البذور الطيبة في حياة وسلوك المسلم، فالكلمة الطيبة، والدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والرفق واللين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي من الأمور التي دعت إليها الشريعة الإسلامية السمحة.

١٦- الداعية إلى الله تعالى بأمس الحاجة إلى حُسن الظن بالله تعالى، خاصَّة إذا اشتد به الكرب وضاقت به السيل.

١٧- التواضع سمة الصالحين وأولياء الله المتقين، وأولى الناس حرصاً عليه الدعاة إلى الله تعالى فيجب التحلي به.

١٨- الترغيب والترهيب له وقعٌ شديد في نفوس المدعوين، وله نتائج ايجابية، فيذكرهم بالتوبة من الذنوب والمعاصي، والرجوع إلى الله تعالى، وله أحوال ومناسبات يُحسن معرفتها ليؤتي ثماره المرجوّة.

١٩- الخطابة وسيلة دعوية مهمة اعتنى بها النبي ﷺ كثيرا في دعوته، واستخدمها في المهمات الصعبة والحساسة، مما يعني ضرورة الاهتمام بأحكامها وفنونها، لأن إتقانها من أكد المصالح الدعوية.

المقترحات والتوصيات

على ضوء ما أسفرت عنه الدراسة من نتائج، وتوصل الباحث الى بعض التوصيات، منها:

٣- ضرورة اعتناء الأمة بالقران والكريم والسنة الشريفة، وسيرة السلف الصالح، والاستفادة منها عمليا في واقع الحياة ومحاضن التربية والتعليم لكي يمكن تشكيل الأفراد تشكيلا إسلاميا، ولاستخلاص كيفية مواجهة الأفكار والمفاهيم الدخيلة، والحفاظ عليها من التيارات والأفكار والمعاكسة للدين الإسلامي.

٤- ضرورة توفر القدوة الصالحة في البيئة الاجتماعية التي يعيشها الفرد، بحيث يشاهدها أمامه في كل وقت وفي كل مكان، فالفرد يحتاج إلى القدوة في جميع مراحل حياته طفلا وشابا وكهلا، فلا بد من توفر النموذج الذي يكون سلوكه مطابقًا لقوله، متمسكا بالأخلاق الفاضلة، وغياب القدوة قد يكون عاملا رئيسا في ضعف النفوس البشرية وبُعدها عن طريق الصواب. فالوالدين لا بد أن يكونا قدوة، بحيث لا يرى الأبناء منهما ما يتنافى والأخلاق الإسلامية، ولا ما يخالف السلوك السوي، ولا يسمعون منهما إلا كل كلمة طيبة، وكذلك المعلم في المدرسة، والإمام في المسجد، والقائد في موقعه، وكل من كان نموذجا يقتدى به.

٥- استخدام أسلوب العقاب كآخر وسيلة تربوية، فيبدأ بالرفق واللين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يلجأ إلى الترهيب والتشديد ثم ينتهي الأمر بالعقاب، وهذا هو منهج الإسلام الوارد من خلال حادثة الافك.

٦- الاهتمام بمبدأ التكافل الاجتماعي، وذلك عن طريق إنشاء الجمعيات التعاونية، والمشاريع الخيرية، وذلك بإعانة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وتفريج كربة المكروب، وللتكافل الاجتماعي مظاهر متنوعة تتضح من خلال التعاون بين الفرد وأسرته، وبينه وبين مجتمعه، كجيرانه وأصدقائه، كما أن هذا المبدأ يتضح في التعاون لرفعة شأن الأمة، وإعلاء قدرها بنشر التعليم والتمسك بالتعاليم الإسلامية السمحاء.

٧- محاربة الكذب والنفاق، وتعويد الأفراد على التزام الصدق في جميع الأقوال والأفعال، وتحري

الأمانة والعدل في كل الأمور، وذلك يتحقق بالدرجة الأولى عن طريق توفر القدوة الحسنة.

٨- ضرورة مواجهة الشائعات ومحاربة تأثيراتها السلبية على الأفراد والمجتمعات، وذلك بالتالي:

- الالتجاء إلى الله تعالى، والاحتفاظ بالثقة في النفس والاستمرارية على الصواب.
- عدم ترديد الشائعة وإعادة ذكرها لأن ذلك مما يساهم في نشرها.
- عدم المبالغة في رد الفعل عند سماع الشائعة.
- إقامة الحد علنا على من ثبت عليه القيام بشيء من ذلك، والتشهير به جزءا له وردعا لأمثاله.

٩- إتباع طريقة منهجية موضوعية للتأكد من صحة أي خبر والحكم عليه يتمثل في الخطوات التالية:

- التأكد من نزاهة المصدر.
- ترابط الخبر وعدم وجود متناقضات فيه.
- سماع الطرفين.

١٠- تعليم الأطفال منذ الصغر سيرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، لينشأوا على حبهن وتعظيمهن منذ نعومة أظافرهم وحتى يقتدوا بهديهن.

وهذا ما تيسر جمعه وضبطه ، ولا تنس أخي القارئ كاتب هذه السطور من دعوة بظهر الغيب، و الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

د. أمير بن محمد المدري

اليمن – المهرة

للتواصل مع المؤلف :

Email: Almadari_1@hotmail.com

Phone: 00967770343470

What's up : 00967711423239

❁ ❁ ❁.

قائمة المراجع

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف (١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م.) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، (الطبعة الأولى) تحقيق: علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية، بيروت..

٢- ابن سيدة، أبي الحسين بن سيدة المرسي (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م)، **المحكم والمحيط الأعظم**، (الطبعة الأولى) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية.

٣- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (د- ت)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، (د- ط) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤- أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)، **سنن أبي داود**، (د- ط) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر، بيروت.

٥- أبو يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م) **مسند أبي يعلى**، (الطبعة الأولى) تحقيق: حسين سليم أسد- دار المأمون للتراث، دمشق.

٦- أبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، (١٩٩٤م)، **معجم المقاييس في اللغة**، (د- ط) لأبي الحسين، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر.

٧- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م)، **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، (الطبعة الثالثة) تحقيق: صفوان - عدان داوودي- دار القلم، دمشق.

٨- اعمير، أنور احمد داوود (٢٠٠٤م) **التربية القرآنية في سورة النور**، رسالة ماجستير

منشورة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين.

٩- الالوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود (١٤١٥ هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (الطبعة الأولى) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠- المودودي، أبو الاعلى (د- ت) **تفسير سورة النور**، دار الفكر، بيروت.

١١- الأندلسي، أثير الدين أبي حيان، (١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م)، **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**، تحقيق: سهير المجدوب،. المكتب الإسلامي.

١٢- البحيصي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م)، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (الطبعة الأولى)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء بالمنصورة، مصر.

١٣- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (١٣٧٩ هـ) **صحيح البخاري**، (الطبعة الأولى) المطبوع مع فتح الباري لابن حجر العسقلاني- دار المعرفة، بيروت.

١٤- البغوي، الحسين بن مسعود الفَراء البغوي الشافعي (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م) **معالم التنزيل** (تفسير البغوي) (الطبعة الرابعة) تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش- دار طيبة، الرياض.

١٥- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي- دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- بكر، عبد الجواد سيد، (١٩٨٣م) **فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف**، القاهرة، دار الفكر، العربي، مكتبة التربية الإسلامية.

١٧- بن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م) **بدائع الفوائد**، (الطبعة الأولى)، تحقيق: هشام - عبدالعزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

١٨- بن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣) **الفوائد**، (الطبعة الثانية)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩- بن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م) **مدارج السالكين**، (الطبعة الثانية) تحقيق: محمد حامد الفقي- دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٠- بن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م) **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (الطبعة السابعة والعشرين) تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة ببيروت ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت.

٢١- بن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م.) **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، (الطبعة الأولى) تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري- دار ابن حزم، بيروت..

٢٢- بن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (١٤٠٦هـ)، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، (الطبعة الأولى) تحقيق: د. محمد رشاد سالم- مؤسسة قرطبة، مصر.

٢٣- بن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم (١٤٣٠ هـ) **كتاب الإيمان الأوسط**، (الطبعة الثالثة) دراسة وتحقيق: د. علي بن بخيت الزهراني- دار ابن الجوزي، الدمام.

٢٤- بن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (١٤٢١هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، (الطبعة الأولى) تحقيق: علي محمد البجاوي- دار الجيل، بيروت.

٢٥- بن عاشور، محمد الطاهر (١٩٩٧م) **التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٢٦- بن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩ م)، **تفسير القرآن العظيم**، (الطبعة الثانية) تحقيق: سامي بن محمد سلامة- دار طيبة، الرياض..

٢٧- بن ماجه، – أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م) **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٢٨- البوطي، محمَّد، (١٩٨٨م) **فقه السيرة**، (الطبعة الأولى)، مصر، دار السلام.

٢٩- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين- دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠- جاد، أحمد أحمد (١٩٩٣م) **منهج القرآن في التثبت من الأخبار**، تقديم مصطفى مشهور، الاسكندرية، دار الدعوة.

٣١- الجصاص، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي (١٤٠٥هـ)، **أحكام القرآن**، (الطبعة الأولى) تحقيق: محمد الصادق قمحاوي- دا ر إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٢- الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٩٧٩م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (الطبعة الثانية) تحقيق: أحمد عبد الغفور عّ طار، دار العلم للملايين.

٣٣- الحسيني الموسوي، نور الدين بن نعمة الله (١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م)، **فروق اللغات في**

التميز بين مفاد الكلمات،، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، مكتبة الرشد.

٣٤- الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م) **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (الطبعة الأولى) تحقيق: محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية، بيروت..

٣٥- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م) **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة.

٣٦- الرازي، محمد فخر الدين (١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م)، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الفكر.

٣٧- الراغب الاصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروق، (١٣٨١ هـ، ١٩٦١ م)، **المفردات في غريب القرآن**،، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٨- رشوان، علي محمود (١٩٩٤م)، **حديث الافك من المنظور الإعلامي**، مصر، انتر ناشونال برسي.

٣٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (١٤٠٧ هـ) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (الطبعة الثالثة) تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار الكتاب العربي – بيروت.

٤٠- الزيدي، ابي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك، ط (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، **غرائب القرآن وتفسيره**، حققه: محمد سليم الحاج، عالم الكتب بيروت.

٤١- سالم، إبراهيم علي (١٩٦٩م)، **النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ**، (الطبعة الثانية)

مصر، دار الشعب.

٤٢- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله (١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٦ م) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (الطبعة الأولى) مؤسسة الرسالة.

٤٣- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٦ م.)، **لباب النقول في أسباب النزول**، السيوطي- خرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الرزاق المهدي- دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٤- شديد، محمد (١٩٨٩م)، **منهج القرآن في التربية، القاهرة**، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٥- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان

٤٦- الطبراني، سليمان بن أحمد (١٤١٥هـ)، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن إبراهيم- دار الحرمين، القاهرة.

٤٧- الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني (١٤٠٤ ه_ ١٩٨٣ م)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي- مكتبة العلوم والحكم، الموصل بالعراق.

٤٨- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٤٢٢ ه_ ٢٠٠١ م) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (تفسير الطبري)، (الطبعة الأولى)، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر- هجر- للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة..

٤٩- الطنطاوي، محمد سعيد (١٩٩٣م)، **هل في الخير شر**، حيدر آباد، بيشاور، باكستان: دار

الفتح.

٥٠- عبد الباقي، زيدان (١٩٧٩م)، **علم النفس الاجتماعي في المجالات الاجتماعية**، مصر، مكتبة غريب..

٥١- العبد اللطيف، إبراهيم عبد الحليم (١٩٩٠م) "**حديث الإفك كما جاء في سورة النور وأثر المنافقين فيه** "، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥٢- العثيمين، محمد بن صالح (١٤٢٦هـ) **شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**، مدار الوطن للنشر الرياض.

٥٣- العسّاف، صالح حمد، (٢٠١٢ م)، **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**، (د. ط) الرياض: دار الزهراء.

٥٤- العسكري، أبي هلال، (١٣٥٣هـ)، **الفروق اللغوية**، مكتبة القدس، حسام الدين القدسي،. القاهرة..

٥٥- قاضي، سلافة بنت بكرعبد الله، (١٩٩٨م) " **القيم التربوية المستنبطة من حادثة الإفك** " رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية بمكة المكرمة.

٥٦- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م) **الجامع لأحكام القرآن**- القرطبي- تحقيق: هشام سمير البخاري- دار عالم الكتب، الرياض.

٥٧- قطب، سيد (١٩٨٥م) **في ظلال القرآن**، (الطبعة الخامسة عشر) مصر، دار الشروق.

٥٨- الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.)، **كتاب الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري- مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٩- اللغوي، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (١٩٨٦م)، **مجمل اللغة**، (الطبعة الثانية) تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ٢.

٦٠- محجوب، ياسين الخليفة الطيب، (٢٠٠٩م)، **إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة**، البحث الفائز في مسابقة مؤسسة الدرر السنية.

٦١- محمود، علي عبد الحليم (١٩٩٤م)، **التربية الإسلامية في سورة النور**، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، سلسلة التربية في القرآن الكريم (٢).

٦٢- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (د- ت)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٣- المقريزي، تقي احمد بن علي، (١٩٩٩م)، **إمتاع الأسماع**، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦٤- المودودي، أبو الأعلى (١٩٥٩م)، **تفسير سورة النور**، دار الفكر، تعريب: محمد عاصم الحداد.

٦٥- نوفل، أحمد (١٩٨٣م)، **الإشاعة**، (الطبعة الثانية)، دار الفرقان، عمان.